جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

قسم البلاغة والنقد

من بلاغة القرآن فى سورة الإنسان

إعـــداد

د/ فاطمة محمد محمد المهدى

مدرس البلاغة والنقد فى كلية
الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

المقدمة

الحمد لله رب العاملين، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، وجرى على لسانه جوامع الكلم، وروائع البيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

فالقرآن الكريم معجزة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الخالدة التى تحدى العالمين بجمالها الفنى، وإعجازها البيانى، وأسلوبها البليغ.

والقرآن الكريم بحر زاخر بالكنوز والنفائس ، ولآلئه لا تنفد ، ودرره لا تنتهى ومن أراد الحصول على لآلئه ودرره فعليه أن يغوص فى أعماقه.

وكتاب الله بحر عميق، لا يصل إلى عمقه إلا من تبحر فى العلوم وعامل الله بتقواه كما يقول الزركشى.

ولولا أن الله يسر السبيل وهيأ الفهم، وجعله مظهر دينه ما اقترب أحد من حماه.

وهذا بحث موضوعه:

﴿من بلاغة القرآن فى سورة الإنسان﴾

وقد استعذبت البحث حول كتاب الله لرغبتى الصادقة فى التزود ببلاغة القرآن الكريم، والوقوف على أسرار إعجازه، وتذوق جماله وحلاوته.

والبحوث التطبيقية المستمدة من هذا الكتاب المعجز عليها الأمل كل الأمل فى إثراء البلاغة العربية.

وقد وجدت فى تراث الأسلاف جذورا من الجهد الجاد اتكأت عليها أثناء بحثى هذا، أضاءت لى الطريق، وسهلت أسلوب التطبيق.

وقد جاء بحثى فى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية وفهرس للموضوعات.

المقدمه

ذكرت فيها موضوع البحث، وسر اختيارى للموضوع، والمنهج الذى سرت عليه.

التمهيد

ذكرت فيه التعريف بالسورة من حيث مكيتها ومدنيتها، وعدد آياتها، وسبب نزولها، وفضلها وغير ذلك.

الباب الأول

منهج القرآن الكريم فى استعمال ألفاظه من خلال سورة الإنسان، وقد جاء فى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : استعمال اللفظ الدقيق فى التعبير عن المعنى المراد، وقد جاء فى ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول: تحرى الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة فى أداء المعنى، وقد وضح من خلاله أن القرآن الكريم يفضل أدق الألفاظ وأليقها فى أداء المعنى المراد.

المبحث الثانى: استعمال الكلمة لبنائها ووزنها وجرسها الصوتى، وقد وضح من خلاله أن لهذه الأشياء دور بناء فى تأكيد المعنى فى ذهن السامع.

المبحث الثالث: الرقة والجزالة ومواطنهما فى السورة الكريمة وقد وضح من خلال هذا المبحث أن القرآن الكريم لا يأتى باللفظ الرقيق العذب لمجرد رقته وعذوبته ولا باللفظ الجزل لأجل قوته وجزالته، بل أن الرقة والجزالة ترتبطان ارتباطا وثيقاً بالغرض المسوق له الكلام.

الفصل الثانى : الكلمات الأعجمية وبلاغتها فى السورة الكريمة وقد وضح من خلاله مدى بلاغة هذه الألفاظ فى موقعها الذى سيقت فيه، ففى القرآن من كل لسان. كما وضح من خلاله مدى بلاغة هذه الألفاظ فى موقعها الذى سيقت فيه.

الفصل الثالث: رعاية التسلسل المعنوى فيما بين الآيات المتعاقبة فى السورة الكريمة، وقد وضح من خلاله مدى ارتباط السورة فى عرض أفكارها ومعانيها من مبتداها إلى منتهاها، وهذا من وجوه الإعجاز القرآنى.

الباب الثانى

الأساليب البلاغية فى السورة الكريمة، وقد جاء فى ثلاثة فصول:-

الفصل الأول : بلاغة التراكيب من أساليب خبرية وإنشائية، وذكر وحذف وتعريف وتنكير وتقديم وتأخير، وقصر وفصل ووصل وغير ذك مما جعل ظاهرة الإعجاز البلاغى فى السورة فى أتم الوضوح وأدقه.

الفصل الثانى: التصوير البيانى فى السورة الكريمة وقد جاء التشبيه واضحا، والمجاز بليغا موحيا، والكناية رائعة ومعبرة.

الفصل الثالث: المحسنات البديعية، وقد جاء من المحسنات البديعية المعنوية الطباق والمقابلة واللف والنشر وغير ذلك، وقد جاء من المحسنات اللفظية الجناس والفاصلة التى كانت فى غاية الروعة والإعجاز.

الخاتمة

وقد ذيلت بها البحث، وقد اشتملت على فهارس البحث من فهرس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

ولا ادعى أنى استقصيت كل ما فى السورة من أساليب بلاغية فما هى

إلا رشفة من بحر بلاغة الكتاب العزيز.

فإن أك وفقت فإنها رغبة النفس، ونشدة الخاطر، وأرجوا أن يكون كذلك، فما زانه من صواب وتوفيق فمن الرحمن، وما شانه من نقص وتقصير فمنى ومن الشيطان، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

تمهيد

جمعت هذه السورة العجيبة الشأن الجليلة القدر على اختصارها ووجازتها بيان خلق الإنسان وتزويده بسائر القوى والحواس، التى يميز بها بين النافع والضار، وبهذا يستحق الجزاء على فعله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وهذا هو العدل الإلهى فى أسمى صوره.

أولا: اسم السورة وعدد آياتها:

هذه السورة تسمى سورة الإنسان والدهر والأمشاج والأبرار، لاشتمالها على تلك الأسماء جميعا.

وهى السورة السادسة والسبعون فى الترتيب المصحفى.

وعدد آياتها: إحدى وثلاثون آية.

وعدد حروفها: ألف وأربعة وخمسون حرفاً.

وقد نزلت بعد سورة "الرحمن" جل شأنه.

ثانيا: مكية السورة أو مدنيتها:

الثابت فى المصحف أن السورة الكريمة مدنية، غير أن المفسرين اختلفوا حول هذا الموضوع وانقسموا فيه إلى فريقين:

فأبو حيان[1] والجمهور يرى مكيتها.

والحسن وعكرمة يرى مدنيتها إلا قوله: ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[2]، فإنهما قالا بمكية هذه الآية.

والإمام القرطبى نقل عن ابن عباس ومقاتل والكلبى مكيتها وعن

---

١) البحر المحيط لأبى حيان ٩٣/٧، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢) سورة الإنسان آية ٢٤.

الجمهور مدنيتها. وقيل فيها مكى من قوله:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾ إلى آخر السورة، وما تقدمه مدنى[١].

والراجح أن السورة الكريمة مكية، لأن الموضوعات التى تناولتها أقرب إلى المكى، حيث إنها فى سياقها وموضوعها وأسلوبها توحى بكونها مكية، بل من بواكير ما نزل على النبى -صلى الله عليه وسلم- من قران فى مكة.

والدليل على ذلك: التصوير الحسى الرائع للنعيم الأبدى خاصة وأن هذا اللون من النعيم كان يثير تطلعات ورغبات المكيين، لأنهم كانوا قريبى عهد بالجاهلية شديدى التعلق بمتاع الحواس.

ثالثا: صلتها بسورة القيامة:

المتأمل فى السورتين يرى بينهما صلات ومناسبات كثيرة منها:

١- يحدثنا رب العزة فى سورة القيامة أنه قادر على جمع الإنسان بعد تحلله وانفكاك أوصاله فيقول: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٢].

وفى سورة الإنسان تذكير لمنكرى البعث بأنهم خلقوا من نطف ممتزجة بعضها ببعض، ومن ثم فالقادر على خلقهم من لا شىء قادر على إحيائهم بعد موتهم فيقول: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا، إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٣].

كما أن فى السورتين حديث عن بدء خلق الإنسان من نطفة كما تقدم فى سورة الإنسان.

---

١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١١٦/١٩، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

٢) سورة القيامة آية ٣، ٤.

٣) سورة الإنسان الآيات ١، ٢.

وقوله فى سورة القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾[١].

٢- سورة الإنسان جاءت تفصل ما أجملت سورة القيامة من الحديث عن الشدائد والخطوب التى يلقاها الكفرة الفجرة يوم القيامة.

فالإجمال فى قوله: ﴿وُجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ باسرة، تظن أن يفعل بها فاقرة﴾[٢].

والتفصيل فى قوله: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ **إلى قوله:** ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[٣].

وقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا﴾[٤]. **شرح وبيان لقوله:** ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[٥]. [٦]

٣- فى سورة القيامة يتحدث المولى عز وجل عن القرآن وتنزله على النبى -صلى الله عليه وسلم-، وبيان أنه كان مشغوفا به، محبا له، وكان يحرك به لسانه دائما ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[٧]. **وفى سورة الإنسان نفس المعنى وفيه يمتن الله على عبده سيدنا محمد بتنزيل القرآن عليه تقوية لقلبه، وتثبيتا لفؤاده:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٨].

---

١) سورة القيامة آية ٣٧.

٢) سورة القيامة الآيات ٢٢ - ٢٥.

٣) سورة الإنسان الآيات ٥ - ٢٢.

٤) سورة الإنسان آية ٤.

٥) سورة القيامة آية ٢٥.

٦) انظر جواهر البيان فى تناسب سور القرآن لأبى الفضل عبد الله محمد الصديق الحسينى ص١٣٩، مكتبة القاهرة، وانظر أسرار ترتيب القرآن للسيوطى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ص١٤٤، الطبعة الاولى، دار الاعتصام.

٧) سورة القيامة الآية ١٦.

٨) سورة الإنسان الآيات ٢٣، ٢٤.

صلتها بسورة المرسلات:

المناسبة بين السورتين فى غاية الوضوح والبيان:

١- فى سورة الإنسان وعيد وتهديد للكافرين، ووعد وتبشير للمؤمنين، وفى هذا المعنى قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾(١). وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾(٢).

وبعد ذلك تأتى سورة المرسلات مبتدأه بالقسم من الله تعالى، على أن كلا من وعيد الكفار ووعد الأبرار، أمر واقع لا مجال للشك فيه فيقول: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا، عُذْرًا أَوْ نُذْرًا، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾(٣).

٢- فى سورة الإنسان بيان من الله جل شأنه أن خلق الإنسان من نطفة أمشاج، وفى سورة المرسلات يدلل الله على عظيم قدرته على الإنسان الكافر بالله ورسله والجاحد لنعمه، ويذكره بالأطوار التى مر بها فى بطن أمه فيقول: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾(٤).

ومن أعظم المناسبات وأجلها بين السور الثلاث: أن هناك مناسبة بين سورة القيامة والإنسان والمرسلات من ناحية خلق الإنسان.

ففى سورة القيامة يخبر الله عز وجل عن بداية خلق الإنسان فبين انه من ماء قليل، ثم تحول هذا الماء بعد مدة إلى علقة بقدرة الله، ثم إلى مضغة مخلقة، ثم جعلت هذه المضغة عظاما ثم كسى العظام باللحم، ثم نفخ فيه الروح فيقول: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ

---

١) سورة الإنسان آية ٤.

٢) سورة الإنسان آية ٥.

٣) سورة المرسلات الآيات ١ : ٧.

٤) سورة المرسلات الآيات ٢٠ : ٢٢.

الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾(١).

وفى سورة الإنسان تدرج القرآن إلى الحديث عن إتمام بناء الإنسان حتى صار شديد الأسر محكم الربط، قوى البنية فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾(٢).

ولما كانت قوة الإنسان مظنة كبريائه وصلفه وغروره ذكره الله تعالى فى المرسلات بمهانة أصله ليكامن من كبريائه، ويوقن بأنه وكل شىء مقهور لخالق الناس جميعا فقال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾(٣).(٤)

وهكذا فى سائر سور القرآن الكريم، نجد السورة لها صلة بما قبلها، كما نجدها وثيقة الصلة بما بعدها، وهذه من بلاغة القرآن الكريم، ومن وجوه إعجازه، وأسرار ترتيبه التى جاءت على أجمل الصور وأبهاها.

رابعا: فضلها:

ورد فى فضل هذه السورة حديثان عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخرج الحاكم فى المستدرك وغيره عن أبى ذر- رضى الله عنه - قال: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ حتى ختمها ثم قال: "إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء فحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدر أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتهم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى، والله لو وددت أى شجرة تعضد"(٥).

---

١) سورة القيامة الآيات ٣٧ : ٣٩.

٢) سورة الإنسان الآية ٢٨.

٣) سورة المرسلات آية ٢٠.

٤) أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ص١٤٥.

٥) المستدرك ٢/٥١٠ مطابع العصر الحديث بالرياض، والاطيط = الصوت، أى كثرة ما فيهامن الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا إيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن هناك أطيط،

ومما يدل على فضلها أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يخصها بالقراءة، هى وألم..... "السجدة" فى فجر يوم الجمعة.

أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال كان النبى -صلى الله عليه وسلم- يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر "ألم تنزيل " السجدة، وهلى أتى على الإنسان"[1].

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على فضل هذه السورة وشرفها فقد جمعت أطوار خلق الإنسان، وتضمنت المبدأ والمعاد، وبينت أن الإنسان حر فى إرادته وإن فاعليته وإرادته إنما هى بمشيئة الله إلى غير ذلك مما تضمنته السورة من عقائد ومبادئ سامية، تأخذ بيد البشرية إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فى الدنيا والآخرة.

خامسا: مقاصدها:

١-نرى سورة الإنسان فى مطلعها تذكر الإنسان بأصل وجوده، وتلفته إلى أصل خلقه، وأين كان؟؛ وكيف بدأ، ونشأ. لينشط هذا الإنسان الخامد مداركه وحواسه، ويقر ويعترف أن هناك قدرة قادرة وراء ذلك خلقته.

٢-تعلن لمنكرى البعث الذين لا يعتقدون وجوده بأنه كائن لا محالة.

٣-تحذر السورة من طريق النار ووهجها، والجحيم وأليم عذابها وترغب فى طريق الجنة ونعيمها بكل صور الترغيب، التى تشعر بالراحة، والمتاع والتكريم.

٤-تلمس الوجدان البشرى لمسة فيها العدل والإنصاف فالله قد بين الطريق، وزود الناس بالسمع والبصر، وإرسال الرسل، وجعل الإنسان

للدلالة على عظمة الله، والصعدات - جمع صعد بمعنى الطريق، وتجأرون = تضرعون إلى الله بالدعاء، وتعضد أى تقطع.

١) صحيح البخارى كتاب الجمعة "باب ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة"، ٥/٢ - الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٠هـ.

حر الإرادة بعد ذلك ليختار أى طريق شاء.

٥-فى السورة تثبيت لقلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتسلية له وتسرية عنه.

٦-كما بينت السورة الكريمة ما يعين النبى -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين على الصبر ومشاقه، بل أمرته وكل الداعين إلى المثل العليا والمبادئ السامية بالالتجاء إلى الله فى كل آن ذكر وعبادة باللسان والقلب.

الباب الأول

﴿ منهج القرآن الكريم فى استعمال ألفاظه ﴾
من خلال سورة الإنسان

الفصل الأول :

استعمال اللفظ الدقيق فى التعبير عن المعنى المراد.

الفصل الثانى :

الكلمات الأعجمية وبلاغتها فى السورة الكريمة.

الفصل الثالث :

رعاية التسلسل المعنوى فيما بين الآيات المتعاقبة داخل السورة.

الفصل الأول

استعمال اللفظ الدقيق فى التعبير عن المعنى المراد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحرى الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة فى أداء المعنى.

المبحث الثانى: استعمال الكلمة لبنائها ووزنها وجرسها.

المبحث الثالث: الرقة والجزالة ومواطنهما فى السورة الكريمة.

المبحث الأول

تحرى الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة في أداء المعنى

تتكون الجملة من كلمات تحمل معانى وأفكارا تترابط وتتجانس فيما بينها فتأتى مؤدية للمعنى الذى يرمى إليه المتكلم ويقصده.

واستعمال الكلمة فى مكانها هو أول خطوة فى تكوين الجملة التى يتكون منها النص الأدبى.

وليست الكلمات على حد واحد فى أداء المعانى المرادة منها، بل هى تختلف فيما بينها فصاحة ودقة وأداء، فحين ينظر المرء فى الألفاظ المتقاربة فى أداء المعانى يظن أو يتوهم أنها مترادفة، ولكن لكل لفظ سماته المميزة وخصائصه الفارقة(١).

والذواقة الماهر هو الذى يستطيع أن يضع اللفظ فى مكانه المناسب بحيث لا يستطيع أى لفظ آخر من الألفاظ التى تقترب منه أن يقوم مقامه.

واللغة الفنية الراقية تحرص على الدقة، وتتوخى الإحكام فى البيان وتراعى هذه الأشياء أشد المراعاة، لأن إغفال هذه الأشياء يورث الكلام ضعفاً وانحطاطاً.

---

١) مفاد من الصاحبى لأبى الحسن أحد بن فارس بن زكريا ص١١٤-١١٧، تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة الحلبى، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ٤٠٢/٢ وما بعدها تحقيق محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوى، محمد ابو الفضل إبراهيم ط الحلبى، الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى٢٣ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل بن الأزرق للدكتورة عائشة بنت الشاطئ ١٩٤ - دار المعارف ١٩٧١م.

والناظر فى كتاب رب العالمين الذى هو قمة الإعجاز البلاغى لا يجد فيه ترادفا فكل كلمة فى القرآن قد استعملت استعمالاً دقيقاً، ووضعت فى مكانها الذى خلق لها لتؤدى معناها الذى خلقت له.

ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة فقد دعا القرآن الكريم إلى ضرورة الدقة فى استعمال الألفاظ ووضعها فى أماكنها الدقيقة. قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[١]. فهو لا يرى التهاون فى استعمال اللفظ بل يدعو إلى التدقيق فى استعماله ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه.

لذلك نهى الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم عن مخاطبة الرسول بكلمة "راعنا" لما لها من معنى مذموم فى العبرية[٢] وذلك فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

يقول الرازى فى تفسير هذه الآية: "منع الله "راعنا" وأذن فى "انظرنا" لاشتمال راعنا على نوع مفسدة، فإن قوله "راعنا" من الرعى بين الاثنين فكأن هذا اللفظ موهما للمساواة بين المخاطبين، كأنهم قالوا: راعنا سمعك لنرعيك أسماعنا، فنهاهم عن استعمالها، لأنه لا بد من تعظيم الرسول - صلى الله عليه وسلم- فى المخاطبة وليس فى "انظرنا" إلا سؤال الانتظار، فأمرهم الله أن يسألوه الإمهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون إلى الإعادة"[٤].

---

١) سورة الحجرات آية ١٤.

٢) قيل معناها: اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت وهى كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها فكانوا سخرية بالدين وهزء بالرسول -صلى الله عليه وسلم- يكلمونه بكلام ينوون به الشتيمة ويظهرون به التوقير والاحترام، انظر شروح التلخيص ٤٠١/٤ دار السرور.

٣) سورة البقرة آية ١٠٤.

٤) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى - المجلد الثانى الجزء الثالث ٤٢٤، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

فكلمة "راعنا" لا تناسب المقام لما توحى به من معنى الاستعلاء فى الخطاب لذلك نهوا عن استعمالها.

فكل كلمة فى القرآن لها معناها المتميز، ومكانها الخاص بها، وكل لفظ فيه قد استعمل استعمالا دقيقا بحث لا يمكن لأى لفظ آخر من ألفاظه المقاربة له فى المعنى أن يؤدى معناه.

وخير ما قيل فى ذلك "إذا ترتبت اللفظة من القرآن علم الله بإحاطته أى لفظه تصلح أن تلى الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد"(١).

وقد قيل "أن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان ذلك أبلغ فى الدلالة على إعجازه"(٢).

وسورة الإنسان التى هى موضوع البحث تسير على المنهج نفسه الذى يسير عليه القرآن الكريم كله، وظاهرة استعمال اللفظ الدقيق لمعناه الدقيق ظاهرة جلية وواضحة تبدو للناظرين المتدبرين.

وفى ضوء هذا الهدى القرآنى اخترت بعض الألفاظ الواردة فى سورة الإنسان، التى يتقارب معناها من ألفاظ أخرى للتطبيق عليها معتمدة فى ذلك على أهم المعاجم العربية وكتب التفسير أبحث عن ذلك الفرق الدقيق بين اللفظين وسر إيثار اللفظ الموجود ومدى موافقته للمقام ودقته فى التعبير عن المعنى المراد.

---

١) الاتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى ت٩١١ تحقيق ابو الفضل إبراهيم ٩/٤ بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وقد نقل هذا عن ابن عطية.

٢) أسرار التكرار لتاج القراء محمد بن حمزة بن نصر الكرمانى تحقيق د/ عبد القادر عطا ص ٢٤٥هـ - الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - دار الاعتصام.

يقول المولى جل شأنه ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾[١]، نلحظ استعمال النظم الكريم للفظ "الحين" دون غيره من الألفاظ كالسنين مثلا، وذلك لأنه السنة جمع أيام، أما "الحين" فهو اسم جمع لأوقات متناهية سواء كان سنة أو شهوراً أو أياماً أو ساعات، ولهذا جاء فى القرآن الكريم لمعان مختلفة، كما أن بينه وبين الدهر فرقاً أيضا وهو:

"أن الدهر يقتضى أنه أوقات متوالية مختلفة على ما ذكر، ولهذا قال الله عز وجل حاكيا عن الدهرين ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٢] أى يهلكنا الدهر باختلاف أحواله"[٣].

"فالحين طائفة من الزمن الطويل الممتد وغير مقدر فى نفسه، شاملة للقليل والكثير، ويقع على مدة العالم جميعها، وعلى كل زمان طويل غير معين، وقيل إنه مقدر بالأربعين، فمن قال المراد بالإنسان هو آدم عليه السلام قال المعنى: أنه مكث آدم عليه السلام أربعين سنة طينا إلى أن نفخ فيه الروح وهو فى هذه المدة لم يكن شيئا مذكورا"[٤].

والحين أنسب للمقام هنا لأنه يوافق من قال أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام، ومن قال أن المراد بالإنسان جنس يعم كل إنسان.

وعند تدبرنا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٥] يلفت نظرنا التعبير بلفظ "خلقنا" دون "أنشأنا"على الرغم من أنه عبر بلفظ الإنشاء فى مواضع أخرى كثيرة.

---

١) سورة الإنسان آية ١.

٢) سورة الجاثية آية ٢٤.

٣) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص٢٦٥ - دار الآفاق الجديدة.

٤) التفسير القيم للإمام ابن القيم - تحقيق محمد حامد الفقى ص٦١٧، مطبعة السنة المحمدية، وانظر: تفسير الفخر الرازى ٢٣٥/٢٩.

٥) سورة الإنسان آية ٢.

والخلق يعنى: " الإبداع والإيجاد والإحداث من غير أصل ولا احتذاء، ويطلق على تقدير الشىء وابتداعه على مثال لم يسبق إليه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[١] أى المقدرين، ويستعمل اللفظ فى إيجاد الشىء من الشىء كما أنه يدل على التسوية"[٢].

وقيل: "الخلق فى كلام العرب على وجهين الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير، وكل شىء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه"[٣].

وقد فسر اللفظ فى هذا الموضع "إنا خلقنا" فيه إخبار عن المادة التى خلق منها أبناء آدم عليه السلام وهى النطفة الأمشاج وقد ورد لفظ الخلق بهذه الصيغة فى القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة "[٤].

أما الإنشاء فهو يعنى: الابتداء والارتفاع والسمو، ويعنى إحداث الشىء وتربيته وإيجاده فيقال للصبى ناشئ.

وبذا يتضح لنا الفرق الدقيق بين اللفظين، حيث أن الخلق أعم من الإنشاء فهو يتضمن الإبداع والتقدير معاً. أما الإنشاء فمقتصر على الإبداع والإيجاد، ففى الخلق إشارة إلى الإبداع على غير مثال سابق، ودفع للنفوس للتفكر والتدبر فيما تشك فيه وترتاب، فلتتفكر تلك الذات فى نفسها ولتتدبر فى خلقها وإيجادها من العدم وعلى غير نظير أو شبيه.

أما لفظ أنشأنا فقد ورد بهذه الصيغة ست مرات، وورد كثيرا بصيغ أخرى[٥].

ففى قوله تعالى: ﴿على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾[٦].

أى "إنا قادرون على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق"[٧].

---

١) سورة المؤمنون آية ١٤.

٢) المفردات ص١٥٧، الموسوعة القرآنية الميسرة تصنيف إبراهيم الإبيارى ١٠٦/٣، مؤسسة سجل العرب بإشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبده، القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣) تاج العروس ٣٣٥/٦.

٤) المعجم المفهرس ص٣٠٧-٣٠٨.

٥) المرجع السابق ص٨٧٢.

٦) سورة الواقعة آية ٦١.

ونلحظ هنا أن الإنشاء والإيجاد تضمن الشبه والمثال، ولذا كان التعبير به دون الخلق.

أما فى الآية السابقة من سورة الإنسان؛ فإن المجال مجال إقناع للمنكرين المرتابين فى حقيقة أصلهم، فتضمنت الآيات التنبيه والتوجيه إلى تذكرة الإنسان بأصل خلقه، فهو على غير مثال سابق.

فالنظم القرآنى يستعمل اللفظ بدقة معجزة ليعبر به عن معنى جزئى يحتاجه المقام، ويقوم مقامه الحال، ويتطلبه الغرض العام.

ونرى التعبير بلفظ أمشاج -جمع مشج وهو الإخلاط- يقال: مشجت الشىء إذا خلطته ومزجته[1].

وعبر بلفظ الأمشاج دون مرادفها وهو الأخلاط وذلك لأن الأمشاج أن يختلط الماء والدم أولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة إلى صفة ومن حال إلى حال، فهو ليس مجرد خلط، ولكن خلط يترتب عليه تغير الشىء من حال إلى حال.

"وهكذا نرى لغة القرآن فى كال شأن تتناوله من شئون القول تستعمل أشرف المواد، وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، وتضع كل مثقال ذرة فى موضعها الذى هو أحق بها وهى أحق به، بحيث لا يجد المعنى فى لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ فى معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين لا يوما أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجئ العصور فلا المكان يريد بساكنه بدلا، ولا الساكن يبغى عن منزله حولاً، وعلى الجملة يجيئك بما هو المثل الأعلى فى

---

٧) تفسير أبى السعود ١٩٧/٨.

١) أساس البلاغة للزمخشرى تحقيق أ/ عبد الرحيم محمود ص٤٣٠ - دار المعرفة بيروت، روح المعانى للألوسى ١٥١/٢٩ - دار الطباعة الأميرية ببيروت.

الساكن يبغى عن منزله حولاً، وعلى الجملة يجيئك بما هو المثل الأعلى فى صناعة البيان"[١].

كما نلحظ فى النظم الكريم استعمال لفظ "نبتليه" دون غيره من الألفاظ المترادفة كنختبره مثلا، وذلك لأن الابتلاء يقتضى استخراج ما عند المبتلى من الطاعة أو المعصية، ولا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق.

والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال: "اختبره بالإنعام عليه ولا يقال ابتلاه بذلك، ولا هو مبتلى بالنعمة"[٢].

ومن هنا كانت كلمة "نبتليه" أدل على المعنى المطلوب لأن المراد بالابتلاء هنا: التكليف الذى يظهر به امتثاله أو عصيانه، ويكون ذلك سببا فى سعادته أو شقائه.

وإذا ما انتقلنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣]، قال الفراء: "معناه إنا هديناه السبيل إن شكر أو كفر، وعليه تكون "إن" للشرط و"ما" زائدة"، وقال غيره من البصريين: " إن "ما" ها هنا بمعنى التخيير أراد إنا هديناه السبيل وخيرناه، وليس يقع الشك من الله تعالى"[٤].

وإذا ما تأملنا النظم القرآنى السابق نجد أن الآية اشتملت على أكثر من لفظ اقتضى النظم القرآنى التعبير به، ولا يستطيع أى لفظ آخر أن يؤدى معناه أو أن يقوم مقامه.

من ذلك استعمال لفظ "هديناه" دون "أرشدناه" مثلا وذلك لأن "الإرشاد إلى الشىء هو التطريق إليه والتبيين له، والهداية هى التمكن من الوصول

---

١) بتصرف يسير من النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص١٩٢، الطبعة الثانية - ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

٢) الفروق فى اللغة ص٢١١.

٣) سورة الإنسان آية ٣.

٤) الأزهية فى علم الحروف ص١٤٠.

إليه، وقد جاءت الهداية للمهتدى فى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١] فذكر أنهم دعوا بالهداية وهم مهتدون لا محالة ولم يجئ مثل ذلك فى الإرشاد"[٢].

فلفظ "هديناه" هنا أنسب للمقام لأن الله يريد أن يقول أن الله مكنه من الوصول إلى السبيل بتمييزه على سائر الكائنات، وجعله محط التكليف وإتباع الشرائع، ولم يكن مجرد إرشاد أو توضيح له، بل كان ذلك بكل الوسائل الممكنة، وشتى الطرق المعروفة.

وإذا ما تتبعنا النظم القرآنى نجد أن لفظ "هديناه" بهذه الصيغة قد ورد مرتين، وهما تدلان على كمال الوصول والتمكن منه.

أما لفظ "أرشدناه" بهذه الصيغة فلم يرد مطلقا وإنما ورد بصيغ أخرى متعددة.

وإضافة "الهداية" إلى نون العظمة للتفخيم والتعظيم من شأن تلك الهداية، وشأن هاديها، وشأن مهتديها.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣]، فى الآية تلحظ استعمال لفظ "السبيل" دون "الطريق" والفرق بينهما أن "السبيل" يقع غالباً فى الخير، ويكون فى الشر أيضا، بخلاف الطريق فهو يقع غالبا فى الشر.

وقد ورد "السبيل" فى النظم القرآنى فى سبعة ومائة موضع، وكلها تدل على طريق الخير، منها أربع وستون مرة مضافة إلى الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٥].

---

١) سورة الفاتحة آية ٣.

٢) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص٢٠٣.

٣) سورة الإنسان آية ٣.

٤) سورة البقرة آية ٢٦١.

٥) سورة البقرة آية ٢١٨.

لريق فلم يرد فى القرآن الكريم إلا أربع مرات من ذلك قوله ﴿ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا، إِلَّا طَرِيقَ أَبَدًا﴾[١].

والطريق هو: ما يطرق بالأرجل بخلاف السبيل الذى يدل على الطرق المعنوى، والمعنى : بينا له وعرفناه طريق الهدى، وطريق الضلال والخير والشر بأدله السمع والعقل، قال مجاهد: "أى بينا السبيل إلى الشقاوة والسعادة".

وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى إليها بطبعه وكمال عقله"[٢].

ومن هنا كان لفظ "السبيل" أنسب للمقام لأن الله يريد أن يتبع الإنسان سبيل الخير، فهو بهذا اللفظ يرغب الإنسان فيه ويحببه إليه، بخلاف لفظ الطريق الذى يدل على الشر غالبا وفى ذلك تنفير منه يؤدى إلى الابتعاد عنه.

كما نرى التعبير بلفظ "شاكرا" دون حامداً، لأن "الشكر" أخص من "الحمد" فهو يكون على المحبوب فقط، والحمد يكون على المحبوب والمكروه.

والآيات هنا: تحدثنا عن نعم الله تعالى على الإنسان، حيث مضى عليه زمن لم يكن شيئا مذكورا، فخلقه الله من نطفة مختلطة ليبتليه، وأنعم عليه بنعمتى السمع والبصر، وهداه السبيل بعد ذلك.

ومن ثم كانت كلمة "شاكرا" هنا تدل على المعنى الذى سيقت له حيث إن الشكر لا يكون إلا فى مقابلة الصنيع، وهو الثناء على المحسن بما أولاك من معروف، تقول: شكرت الله إذا اعترفت بنعمه وفعلت ما يجب عليك من فعل الطاعة وترك المعصية، ولهذا يكون بالقول والعمل، ولا يكون إلا فى المكافأة والجزاء.

"وضد الشكر الكفر، وضد الحمد الذم، تقول: يحدث هذا إذا أثنيت عليه

---

١) سورة النساء الآيات ١٦٨، ١٦٩.

٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٠/١٩ - دار الكتب المصرية.

فى أخلاقه، شكرت زيدا إذا أردت جزاءه على معروف أسداه إليك"[١].

ولفظ "الحمد" ورد فى القرآن الكريم تسعا وثلاثين مرة جميعها حمد لله. أما "الشكر" فقد ورد كثيرا وبصيغ متعددة.

ومن هنا يتضح لنا جمال الكلمة إذا صادفت موقعها الدقيق فى النظم القرآنى.

ولما كان الشكر قل من يتصف به قال: شاكراً فعبر عنه باسم الفاعل للدلالة على قلته، ولما كان الكفر كثيراً من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان قال: "كفورا فعبر عنه بصيغة المبالغة"[٢].

"ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما فى معنى المبالغة نفيا للمبالغة فى الشكر، وإثباتا لها فى الكفر، لأن شكر الله تعالى لا يُؤَدَّى فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل شكره، لكثرة النعم عليه، وكثرة كفره، وإن قل مع الإحسان إليه"[٣].

﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا﴾[٤].

وآثر النظم القرآنى لفظ "الأغلال" على "القيود" لأن الأغلال "جمع غُل بضم الغين، وهو عبارة عن طوق من الحديد حول يدى الكافر وعنقه يوم القيامة، فيجعل الأعضاء وسطه، لأن الغُلل أصله تدرع الشىء وتوسطه"[٥].

فهو أنسب للمقام هنا للزيادة فى تحقير الكافر وإهانته والسخرية منه.

كما أن الغل يكون من الحديد لا غير أما القيد فيكون من الحديد وغيره وهو خاص بالأيدى والأرجل.

فالأغلال والقيود وإن كانت كل منهما تؤدى إلى تقييد الحرية وعدم

---

١) بتصرف من بيان إعجاز القرآن للخطابى ص٣٠، شموس العرفان بلغة القرآن ص١٤٢، صفاء الكلمة د/ عبد الفتاح لاشين ص٤٦٣ بتصرف.

٢) إعراب القرآن وبيانه لمحيى الدين الدرويش ٣١٧/١٠ -اليمامة- دار ابن كثير.

٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٢٢/٢٠/١٠ دار إحياء التراث العربى -بيروت-لبنان.

٤) سورة الإنسان آية ٤.

٥) معجم ألفاظ القارن الكريم ٦٠٤/١.

الحركة، إلا أن فى التعبير بلفظ "الأغلال" زيادة فى الذلة والمهانة، والدقة فى تصوير ذلك العذاب احتقارا للكافر وامتهانا له.

والسعير النار المشتعلة بشدة والتى يصاحبها اللهيب والوهج الشديدين يقال: "سعر النار والحرب يسعرهما سعراً وأسعرهما أسعاراً، وسعرهما تسعيراً، أوقدها وهجاً"(١).

وقد آثر النظم القرآنى لفظ "السعير" ليدل على أن تلك النار التى تنتظرهم ملتهبة حراقة مشتعلة، فالسعير هنا وان كان اسما من أسماء النار إلا أن استعماله فى هذا المقام له مغزى يقتضيه السياق ويتطلبه المقام.

ففى التعبير بهذا اللفظ زيادة فى التخويف، للتنفير من الكفر والابتعاد عنه لما له من عواقب وخيمة.

ونتدبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾(٢).

فقد آثر النظم الكريم لفظ "كأس" دون غيره من الألفاظ المترادفة كالكوب مثلاً، لأن الكأس هى الإناء المجعول للخمر، فلا يسمى كأسا إلا إذا كان فيه خمر، فهى أخص من الكوب، وانسب للمقام هنا، ولان الحديث هنا يتناول الحديث عن خمر الجنة.

وأتت الباء مكان "من" فى قوله ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ....﴾(٣) أى يشرب منها "إشارة إلى أن تلك العين هى خمر وكأس معاً، وأن عباد الله حين يشربون الخمر ذاتها، فالشراب قد امتزج بالكأس فصارا كيانا واحداً لصفائهما ورقتهما.

فكلاهما أصفى من الهواء، وأرق من الشعاع.

---

١) المرجع السابق.

٢) سورة الإنسان آية ٥.

٣) سورة الإنسان آية ٦.

يقول أبو نواس فى هذا المعنى:

رق الزجاج ورقت الخمر ∴ وتشاكلا فتشابه الأمر

فكأنما خمر ولا قـــــدح ∴ وكأنما قدح ولا خمر [١].

ويلفت أنظارنا استعمال النظم الكريم للفظ الخوف دون الخشية فى قوله فى صفات الأبرار ﴿ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾[٢] وقوله: ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا﴾[٣].

فالخوف "توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة وضده الأمن، ويستعمل فى الأشياء الدنيوية والأمور الأخروية، والخوف من الله يراد به الكف عن المعاصى واختيار الطاعات، وهو أيضا الفزع ...."[٤].

وقيل "إن الخوف ينتج عن ضعف الخائف وإن كان المخوف يسيرا"[٥].

و"الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه تقول خفت زيدا كما قال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[٦] وتقول خفت المرض كما قال سبحانه: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾[٧].

والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ولهذا قال: "يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب"[٨].

---

١) التفسر القرآنى للاستاذ عبد الكريم الخطيب ١٣٥٨/٢٩ بتصرف.

٢) سورة الإنسان آية ٧.

٣) سورة الإنسان آية ١٠.

٤) تهذيب اللغة ٥٩٣/٧، والمخصص ١٢٢/٣ - مقاييس اللغة ٢٣٠/٢.

٥) البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى تحقيق محمد أبو الفضل ٧٨/٤ - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٦) سورة النحل آية ٥٠.

٧) سورة الرعد آية ٣١.

٨) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ص٢٣٦، دار الآفاق الجديدة.

ـاد فى الآيتين السابقتين أنهم يخافون العذاب نفسه وهو شر ذلك ـوس الكريـه، ولا يخـافون منزلـه وهـو اللـه سبحانه وتعالى ولـذا استعمل النظم القرآنـى لفظ "الخـوف" دون الخشـية، لأنـه يناسـب المقـام ويقتضيه الحال.

فكل كلمة فى القرآن لها معناها المتميز، ومكانها الخاص بها وكل لفظ فيـه قـد استعمل استعمالا دقيقـا. بحيث لا يمكـن لأى لفظ آخـر مـن ألفاظـه المقاربة له فى المعنى أن يؤدى معناه.

ثم ينتقل النظم القرآنـى إلـى الخصلـة الثالثـة مـن خصـال الأبـرار وهـى إطعام الطعام فيقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[١].

وإطعـام الطعـام ضـرب مـن ضـروب المواسـاة المتنوعـة المظـاهر التـى يصنعها أولئك الأبرار مع ذوى العجز والقصور من المحـاويج، الذيـن فقـدوا أموالهم وأهليهم وأوطانهم.

وعبر عن المواساة بإطعام الطعام لأنه أصل الحياة وقوامها، ومـن هنـا فلا عيش بدونه، ولا حياة بسواه.

وصرح بلفظ "الطعام" مع أنـه معلـوم مـن فعل "يطعمـون" توطئـة ليبنـى عليه الحال وهو على حبه، فإنه لو قيـل: ويطعمـون مسكينا ويتيمـا وأسـيرا لفات ما فى قوله: "على حبه" من معنى إيثار المحاويج على النفس، وقولـه: "على حبه" تكميل يحسن المعنى إن كان الضمير فى حبه عائد علـى الطعـام، وإن كان عائداً على الله سبحانه فهو تتميم احتياط"[٢].

كما أن ذكر الطعام بعد "يطعمون" يفيد تأكيدا مع استحضار هيئة الطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة"[٣].

---

١) سورة الإنسان آية ٨.

٢) بديع القرآن ص٤٨.

٣) التحرير والتنوير ٢٩/٣٨٤.

فتعبير القرآن الكريم بإطعام الطعام من التعبيرات البليغة الدقيقة التى توحى بقسوة أولئك المكبين الذين كانوا نموذجا شحيحا لا هم له إلا سعادة نفسه، وإن شقى المجتمع من حوله، فهو يبذل فى مجالات الشهوات والمفاخر النفيس من المال، بينما كان عباد الله فى تلك البيئة واحة هزيلة على المحتاجين، ونموذجا صالح النفس كريم الخلق، يرى الوجود فى سعادة نفسه والمجتمع من حوله، يفعل ذلك والأحوال المالية ضعيفة شاقة، والزمن الذى يعيشه مجاعة تكاد تقتل أولئك الذين ذكروا الله من أصحاب الحاجات ممن أضوعهم الفقر، وأذلهم الحرمان، أو فقدوا الكافل والمال، أو المال والأهل والأوطان.

ونستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[١].

نرى أن النظم الكريم عبر بـ "الجزاء" ولم يعبر بـ "الأجر" لأن الجزاء هو: المكافأة على الشىء إن خيراً فخير، وإن شراً فشر"[٢].

والأجر هو: "الجزاء على العمل دنيوياً كان أو أخروياً وهو من الله الثواب"[٣].

كما عرف أيضاً بأنه: "العوض المأخوذ فى العقد على المنافع، وهو الجزاء على الخير فقط"[٤].

فالأجر يكون فى الثواب على العمل دنيويا كان أو أخروياً، لكن لا يكون إلا على عمل الخير.

---

١) سورة الإنسان آية ٩.

٢) تاج العروس ٥١/١، المفردات ص٩٣.

٣) لسان العرب ٣١/١.

٤) المفردات ص١٠.

ى: ﴿وآتينه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾[١].

اما الجزاء فيكون على العمل الأخروى إن شرا فشر وإن خيرا فخير فمن الجزاء على عمل الخير قوله تعالى: ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾[٢]، ومن الجزاء على الشر قوله تعالى: ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾[٣].

ومن هنا تظهر روعة القرآن الكريم ودقته فى اختيار ألفاظه حيث عبر بالجزاء لأن هؤلاء الأبرار يريدون من أفعالهم وخصالهم الكريمة هذا الجزاء الأخروى من الله تعالى يوم القيامة.

وهكذا إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم نرى أن النظم القرآنى يعبر بلفظ لا يتأتى إلا بلغة الإعجاز.

فالقران الكريم يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر من ألفاظه المتقاربة له فى المعنى والتى ترد فى المعاجم أو كتب التفسير.

فكل كلمة فى القرآن قد استعملت استعمالا دقيقا ووضعت فى مكانها الذى خلق لها لتؤدى معناها الذى خلقت له.

وخير ما قيل فى ذلك: "إذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم الله بإحاطته أى لفظه تصلح أن تلى الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظه أحسن منها لم يوجد"[٤].

ومن استعمال اللفظ الدقيق فى تعبيره عن المراد من المعانى فى الآية السابقة استعمال "شكورا" دون حمدا.

---

١) سورة العنكبوت آية ٢٧.

٢) سورة الإنسان آية ١٢.

٣) سورة الكهف آية ١٠٦.

٤) الاتقان فىعلوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت٩١١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٩/٤ - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وقد نقل هذا عن ابن عطية.

وقد مر التعليق على ذلك عند قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾(١).

وعند تأملنا لسورة الإنسان نجد أن استعمال النظم القرآنى للفظ "رب" دون إله وذلك فى أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى: ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾(٣).

وقوله جل شأنه: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾(٤).

وقوله: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾(٥).

وقوله: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾(٦).

وذلك لأن لفظ "الرب" يعنى "المالك لكل شئ، والمستحق والصاحب له، والمصلح والقائم على الشيء"(٧).

والآية الأولى كان غرض الأبرار من قولهم هذا تأنيسا للفقراء ودفعا لانكسار النفس الحاصل عن الاطعام، أى ما نطعمكم إلا استجابة لما أمر الله، فالمطعم لكم هو الله، فهو رازقنا ورازقكم، وخالقنا وخالقكم ومربينا ومربيكم.

والآية الثانية امتنان على هؤلاء الأبرار بأن الساقى لهم هو مربيهم ومالكهم، فهو المنعم عليهم بتلك النعم التى تالوها واستحقوها ببرهم لخالقهم ومربيهم، فكان على المربى لهم أن يوفيهم جزاءهم.

---

١) سورة الإنسان آية ٣.

٢) سورة الإنسان آية ١٠.

٣) سورة الإنسان آية ٢.

٤) سورة الإنسان آية ٢٤.

٥) سورة الإنسان آية ٢٥.

٦) سورة الإنسان آية ٢٩.

٧) لسان العرب ١/٣٩٩ - دار صادر بيروت، تاج العروس ١/٢٦٠.

والآيتان الثالثة والرابعة الخطاب فيها للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وإذا ما تتبعنا النظم القرآنى نجده دائما يستعمل لفظ الربوبية فى مخاطبة نبيه عليه السلام، وفى ذلك قرب المربى من المربى، وإشعار بأنه قريب منه منعم عليه بالتربية والولاية والإحسان إليه.

وفى الآية الخامسة ذكر لفظ الربوبية أيضا للترغيب فى اتخاذ السبيل إلى ذلك المنعم بتلك النعم الجليلة التى لا تعد ولا تحصى على الإنسان.

وفى الآيات جميعها لو قال "إلهكم" لأدخل إليه شئ من القهر والقوة والغلبة.

ولو نظرنا إلى لفظ "الإله" لوجدناه" يدل على "الإلهية والتحير فى عظمة الله عز وجل، والوله إليه، إما بالتخيير أو بالتسخير والإرادة واللجوء له سبحانه والأمن عنده والتوجه إليه بالعبادة"[1].

وهذا يتلاءم مع المواضع التى يرد فيها دعوة إلى الإيمان والتوحيد والتصديق بالله تعالى حيث إن النفس بطبيعتها تأله وتسكن له.

ولو تتبعنا القرآن الكريم لوجدناه يذكر لفظ "إلهكم" فى المواضع التى يرد فيها أمر بالإيمان والإسلام والدعوة إلى الإخلاص لله وحده وعبادته سبحانه وحده دون سواه، وذلك لأن الإله هو الذى تأله له النفس وتسكن وتتشوق إليه فكان التعبير به فى ميدان العبادة أقرب إلى معناه وآنس.

أما لفظ "الرب" فهو يرد فى ذكر المواضع التى يرد فيها أمر، وقد يرد أيضا فيما يتصل برحمة الله وفضله الناجم عن ملكيته للعباد وربوبيته لهم وفيما تفضل عليهم من نعم، وما أنعم عليهم من عطاء وثواب.

والقرآن الكريم يضع كلاً فى موضعه الملائم ووضع لفظ "رب" فى هذه المواضع من سورة الإنسان يناسب الغرض المراد.

---

١) لسان العرب ١٣ - ٤٦٧ - تاج العروس ٩/٣٧٥ - الصحاح ٦/٢٢٢٤ - المفردات مقاييس اللغة ١/١٢٧.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

فقد ذكر اسم الله تعالى فى قوله: "والله يعدكم" مغفرة منه وفضلا وكرره ثانيا فى قوله: "والله واسع عليم" للتفخيم والتعظيم والتبرك بذكر لفظ الجلالة.

ويقول تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢).

فنرى أن النظم الكريم كرر التفضيلين لاختلاف متعلقهما، فالتفضيل الأول بالدرجة هو ما يؤتى به فى الدنيا من الغنيمة، والتفضيل الثانى هو ما ينالهم فى الآخرة من الثواب، فنبه بإفراد الأول، وجمع الثانى، على أن ثواب الدنيا فى جنب ثواب الآخرة يسير"(٣).

ويقول جل شأنه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾(٤).

أى وفى مقابل جزاء المؤمنين يجزى الذين كفروا بشراب من ماء حار قد انتهى حره وعذاب أليم بسبب كفرهم وتكرير الاسناد "الذين" يجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم"(٥).

﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا﴾(٦).

---

١) سورة البقرة الآية ٢٦٨.

٢) سورة النساء آية ٩٥.

٣) البحر المحيط ٣/٣٣٢.

٤) سورة يونس آية ٤.

٥) تفسير أبى السعود ٤/١١٩.

٦) سورة الإنسان آية ١٣.

والاتكاء: الإعتماد على الشيء، يقال: اتكأ وتوكأ، ومعناه اعتمد كقوله تعالى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾[١].

وقد آثره النظم القرآنى دون غيره من الألفاظ لأن المراد بالاتكاء هنا: "الاضطجاع والتربع فى الجلوس"[٢] ولأن الاتكاء: "جلسة بين الجلوس والاضطجاع، يستند فيها الجالس على مرفقه وجنبه ويمد رجليه وهى جلسة ارتياح، وكانت من شعار الملوك وأهل البذخ"[٣].

والأرائك: "جمع أريكة وهى السرير ترخى عليه الستور وجميل الثياب"[٤] ومن ثم فهى مزينة على أتم زينة، ومهيئة على أكمل هيئة، وتسمى فى عصرنا بالناموسية وقاية للنائم مما يؤذيه من بعوض وغيره.

وسميت الأريكة بذلك "إما لكونها فى الأرض متخذة من أراك وهو شجرة أو لكونها على قامة من قولهم: أرك بالمكان أروكا، وأصله: الإقامة على رعى الأراك، ثم تجوز به فى غيره من الإقامات"[٥].

وهذه السرر هى: "متكأ لأهل الجنة، وأنها بمنزلة الوسائد فى الدنيا وأن أهل الدنيا إذا اتخذوا السرر وحملوها بما جملوها به ليكون منامهم عليها، فإن أهل الجنة يتخذون هذه السرر للإتكاء والاسترخاء عليها، لأن أهل الجنة لا ينامون"[٦].

والتعبير بـ "الأرائك" ما هو إلا تقريب للمعنى فى الأذهان قال حبر الأمة: "ليس فى الدنيا شئ مما فى الجنة إلا الأسماء إذ الذى فى الجنة أعلى وأشرف"[٧].

---

١) سورة طه آية ١٨.

٢) تفسير ابن كثير ٣١/٥٩ - كتاب الشعب.

٣) التحرير والتنوير ٣٨٨/٢٩.

٤) المفردات ص١٦، تفسير جزء تبارك ص١١٩ بتصرف وتلخيص.

٥) المرجع السابق المكان نفسه.

٦) التفسير القرآنى للقرآن ١٣٦٦/٢٩.

٧) حاشية الجمل على الجلالين ١٥٨/٤.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١].

لفظ "دانيه" من الألفاظ التى جاءت لتؤدى دورها فى النظم القرآنى، فقد عبر النظم الكريم بلفظ دانيه دون "قريبة" للمبالغة فى ذلك الدنو، والاشارة إلى أنها قريبة تنال بدون جهد أو مشقة.

والفرق بين "الدنو والقرب" أن القرب أعم من الدنو، حيث يكون فى المكان والزمان، والشىء الحسى والمعنوى والنسبة والرعاية وغير ذلك، نقول قلوبنا تتقارب ولا نقول "تتدانى" ونقول: هو قريب بقلبه ولا يقال دان بقلبه، بخلاف الدنو، فهو لا يكون إلا فى المسافة بين شيئين نقول: دار دانية، ومزار دانٍ"[٢].

فالتعبير بلفظ "الدنو" فى الآية للدلالة على القرب المكانى خاصة، وللدلالة على دنو الظلال عليهم، وإنها قريبة جدا منهم، وهذا يدل على كمال المتعة والنعيم.

ومن ثم يتضح لنا سر استعمال النظم الكريم للفظ "دانية" فكل لفظ فى القران الكريم له معنى قائم بذاته وفيه إشعاع نورانى يتضافر مع جملته، وقد امتاز القرآن العظيم بأن كل كلمة فيه قد استعملت واختيرت اختيارا دقيقا بالغا.

كمانرى أن جملة "وذللت قطوفها تذليلا" ترسم صورة الموضوع لظلها الذى تلقيه فى الخيال.

أى "انقادت لهم وتدلت، والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو: الثمر الذى نضج وحان زمن قطفه، وقيل نمو التمر ساعة قطفه[٣].

---

١) سورة الإنسان آية ١٤.

٢) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ٣٠٣ بتصرف.

٣) المفردات ٤٠٨.

﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾[١].

والمخلدون = الذين لا يتحولون عن حالتهم هذه أبداً، ولا يتأثرون بمرور الدهر والأزمان، يقال أخلد فلان فى مكانه أى لزمه وأخلد إلى الراحة، أى: أقام فى ظلها، ومنه جنة الخلد أى الخلود والدوام فيها.

ونلحظ أن النظم الكريم عبر بلفظ "مخلدون" دون "ماكثون" أو "باقون" مثلا لإظهار أن هؤلاء الولدان دائمون على خدمة هؤلاء الأبرار ، وذلك لأن الخلود هو البقاء والدوام مطلقا، ومن ثم سميت دار الخلد لبقاء أهلها فيها"[٢].

أو هو: "تبرى الشىء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التى هو عليها"[٣]، أى هم باقون على حالتهم هذه وهى كونهم ولدان لا يشيخون. أما المكث فهو: "التلبث فى المكان والاقامة مع انتظار الخروج"[٤]. ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٥] أى غير طويل من الإقامة فالخلود زمن لا نهاية له، لأنه دوام أبدى لا ينقطع، ولا يزول، أما المكث فهو زمن له نهاية فهو الإقامة مع الانتظار.

وإذا تأملنا النظم القرآنى نجد أنه يذكر لفظ "الخلود" فيما يتعلق بالأمور الأخروية، إما خلودا للمؤمنين فى جنتهم، أو خلودا للكفار والمنافقين فى نارهم.

وقد ورد لفظ الخلود فى الجنة إحدى وثلاثين مرة، أما الخلود فى النار فقد ورد خمساً وثلاثين مرة، أما لفظ "المكث" فيذكره القرآن فيما يتعلق بالأمور الدنيوية"

---

١) سورة الإنسان آية ١٩.

٢) لسان العرب ٣م/٢٦٤، تاج العروس ١/٣٤٤، القاموس المحيط ١/٣٠٢، (٢)المفردات ١٥٤.

٣) اللسان ٢/٢/١٩١ - التاج ١/٩٤٧ - المفردات ٤٧١.

٤)

٥) سورة النمل آية ٢٢.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾[١]، وقد قال موسى ذلك لقومه عندما ضل الطريق ليلا، وقد كان هذا فى الدنيا.

أما الخلود فى الأمور الدنوية فلم يرد مطلقا مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢].

ويستعمل المكث فى الامور الدنيوية بمعنى الإقامة مع انتظار الخروج ولكن عندما أراد الله سبحانه وتعالى بالمكث الخلود شفعه بقوله "أبدا" فى قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[٣].

فكلمة "ماكثين" تفيد التوقيت، ولما جاءت بعدها كلمة "أبدا" أفادت التأبيد.

وقد فسر الخلود "بالبقاء الدائم الذى لا ينقطع"[٤].

وأحسن ما يتخذ للخدمة الولدان، لأنهم أخف حركة، وأسرع مشيا، ولأن المخدوم لا يتحرج إذا أمرهم أو نهاهم.

ووصفوا بأنهم مخلدون "للاحتراس مما قد يوهمه اشتقاق "ولدان" من أنهم يشيبون ويكتهلون، أى لا تتغير صفاتهم فهم ولدان دوما، وإلا فإن خلود الذوات فى الجنة معلوم فما كان ذكره إلا لأنه تخليد خاص"[٥].

فالقرآن الكريم لا تجد فيه ترادفا، بل كل كلمة فيه تحمل معنى جديدا، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة فى دلالتها، فإنه يستخدم كلا حيث يؤدى معناه فى دقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كل كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذى وفت به

---

١) سورة القصص آية ٢٩.

٢) سورة الرحمن آية ٢٦، ٢٧.

٣) سورة الكهف ٢، ٣.

٤) القرطبى ٢٤١/١، الكشاف ٥٣/٦.

٥) التحرير والتنوير ٣٩٧/٢٩.

أختها فكل كلمة وضعت لتؤدى نصيبها من المعنى أقوى أداء"[١].

﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤ منثوراً﴾[٢].

عبر النظم الكريم بالرؤية دون النظر أو المشاهدة للدلالة على كمال ذلك النعيم الحسى المشاهد والمرئى بالعين وذلك لأن "الرؤية تعنى النظر بالعين والقلب، أى إرادة ما وقع البصر عليه وإدراك المرئى بالعين"[٣] ومنه قول العرب: "تراءينا الهلال" أى تكلفنا النظر إليه، وقولهم "تراءينا" أى تلاقينا فرأيته ورآنى"[٤].

وذكر بعضهم أن الرؤية تكون بالحاسة والوهم والتخيل وبالتفكر وبالعقل، وتكون بمعنى العلم بالشىء"[٥].

أما النظر فهو تأمل الشىء بالعين ومعاينته، فإذا قلنا نظرت فى الشىء احتمل أن يكون تفكرا، وإذا قلنا نظرت إلى الشىء لم يكن إلا بالعين، فالنظر هو: حس العين، وهو أيضا التفكر فى الشىء، والتأمل ومنه الانتظار"[٦].

والنظر أيضا هو "تقليب البصر والبصيرة فى الشىء لإدراكه ورؤيته، وربما أريد به الفحص والتأمل أو المعرفة الحاصلة بعدهما، وإن كان

---

١) قبس من البيان القرآنى د/ محمد حسن شرشر ص٥٠ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م - دار الطباعة المحمدية.

٢) سورة الإنسان آية ١٩.

٣) لسان العرب ٢٩١/١٢، تاج العروس ١٣٩/١٠، مقاييس اللغة ٤٧٢/٢، القاموس المحيط ٣٣٣/٤.

٤) تهذيب اللغة للأزهرى ٣٢١/١٥.

٥) المفردات ص٢٠٩.

٦) اللسان ٢١٥/٥، نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر للإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى ت٥٩٧هـ. تحقيق السيد مهرة السناء - ايم - الهند ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ج١٨٦/٢.

استعمال النظر البصر يكثر عند العامة، ويكثر عند الخاصة فى البصيرة"[١].

إذا فالفرق دقيق بينهما، "فالنظر هو طلب الهدى، وطلب ظهور الشىء، والبحث عنه، أى تقليب العين مكان المرئى طلبا لرؤيته، أما الرؤية فهى إدراك المرئى، ولذا نقول يرى الله، ولا نقول ينظر الله" لأنه يراها من حيث لا يطلب رؤيتها"[٢].

فكلمة رأيتهم هنا أدل على المعنى المطلوب، ومن ثم آثرها النظم القرآنى، فالناظر إلى هؤلاء الولدان فى حال انتشارهم فى الجنة، وتفرقهم فى تلبية حوائج الناس، حسبهم لصباحة وجوههم وحسنها، وجمال ثيابهم ونعومتها، وروعة حليهم وبهجتها لؤلؤا مبثوثا متباعدا بعضهم عن بعض، وهل فى التشويق أجمل من هذا؟ ، أو فى المنظر أحسن وأبهى من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

وننتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٣].

الآثم : الذنب، وقد أثم بالكسر إثما، وآثما إذا وقع فى الإثم، فهو آثم أثم وأثوم أيضا"[٤].

والكفور: صيغة مبالغة لمن كان غالبا فى كفره، ممعنا فى عناده وجحوده حتى صار ذلك سجية من سجاياه التى لا تفارقه، مشتق من الكفران الذى هو ضد الشكر، فكما أن الكفر ستر وتغطية لنعم المنعم سبحانه فإن الشكر بثها وإظهارها.

فالكفور "المحسن فى الكفر أو من صار الجحود عادة له، وهو صيغة مبالغة"[٥].

---

١) المفردات ٤٩٧.

٢) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى ص٦٧ - دار الآفاق الجديدة.

٣) سورة الإنسان آية ٢٤.

٤) مختار الصحاح ٦ - الطبعة الرابعة.

٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢/٥١٠ - مجمع اللغة العربية - الهيئة العامة للتأليف والنشر.

والآثم والكفور متلازمان، فكان ذكر أحد الوصفين مغنياً عن الآخر، ولكن جمع بينهما لتشويه حال المتصف بهما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾(١).

"وفى ذكر هذين الوصفين إشارة أيضا إلى زعيمين من زعماء الكفر والعناد وهما عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، لأن عتبة اشتهر بارتكاب المآثم والفسوق، والوليد اشتهر بشدة الشكيمة فيه بين بقية المشكرين من كثرة المآثم لأولهما، والمبالغة فى الكفر لثانيهما، فلذلك صيغت له صيغة المبالغة "كفور"(٢).

وإذا ما تدبرنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾(٣). نجد أن قوله: "يذرون" بمعنى يتركون، وهذا فعل، ليس له ماض ولا مصدر وقد جاء فى القرآن بصيغة الأمر فى قوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾(٤). والمضارع كقوله سبحانه: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾(٥). ولم يأت منه الماضى والمصدر.

وفى اختيار القرآن الفعل "يذرون" دون "يتركون" دلالة على أن كفار مكة كانوا غير معتدين بيوم القيامة، فهم قد أنكروا إنكاراً تاماً، بحيث لا يوجد لديهم متسع من الوقت للتفكير فيه.

وقد حكى عنهم القرآن هذا الاعتقاد فى أكثر من آية مثل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(٦).

---

١) سورة البقرة آية ٢٧٦.

٢) التحرير والتنوير ٢٩/٤٠٤.

٣) سورة الإنسان آية ٢٧.

٤) سورة الأنعام آية ١٢٠.

٥) سورة الأعراف آية ١٢٧

٦) سورة يس آية ٧٨.

وقوله: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾[١].
وقوله: ﴿أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾[٢].

"والذى ساعد على هذا الاستنباط المعنى اللغوى للفعل يذر قال الراغب يقال: فلان يذر الشيء أى يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه، والوزرة قطعة من اللحم، وتسميتها بذلك لقلة الاعتداد بها"[٣].

"وهكذا نرى لغة القرآن فى كل شأن تتناوله من شئون القول تستعمل أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، وتضع كل مثقال ذرة فى موضعها الذى هو أحق بها وهى أحق به، بحيث لا يجد المعنى فى لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا تجد اللفظ فى معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين لا يوما أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجئ العصور فلا المكان يريد لساكنه بدلا ولا الساكن يبغى عن منزله حولا، وعلى الجملة يجيئك بما هو المثل الأعلى فى حد صناعة البيان"[٤].

وقد ورد استعمال لفظ "وراء" كثيرا فى القرآن بمعنى "أمام" كقوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك﴾[٥] بمعنى أمامهم، وقوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾[٦] بمعنى أمامه.

قال الرازى: لم قال: وراءهم ؟ ولم يقل قدامهم ؟ والجواب: من وجوه: أحدهما: لما لم يلتفتوا إليه وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم.

---

١) سورة الجاثية آية ٢٤.
٢) سورة ق آية ٣.
٣) مفردات القرآن ص٥٥٥.
٤) بتصرف يسير من النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ص٩٢، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٥) سورة الكهف آية ٧٩.
٦) سورة إبراهيم آية ١٦.

وثانيها: المراد: ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل فأسقط المضاف.
وثالثهما: أن وراء تستعمل بمعنى قدام، كقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾[1] وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾[2] وكونه أمامهم ظاهر، أو يذرون وراء ظهورهم يوماً ثقيلا لا يعبئون به.

فوراء يستعمل فى كل من أمام وخلف، والظاهر فى وجه الشبه الاستعمالين، أن وراء اسم للجهة المتوارية، أى المستترة المخفية عنك، واستتار جهة الخلف ظاهر، وما فى جهة الإمام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد معاين فيشبه جهة الخلف فى ذلك فاستعار له اسم الوراء.

والاتيان بصيغة "فعيل" فى قوله: "ثقيلا" للدلالة على المبالغة فى الثقل، ولفظ "الثقيل" يوحى يثقل هذا اليوم، وثقل أهواله على هؤلاء الذين لم يعملوا لهذا اليوم شيئاً يخفف عنهم شدة هوله.

---

١) سورة إبراهيم آية ١٦.

٢) سورة الكهف آية ٧٩.

المبحث الثانى

استعمال الكلمة لبنائها ووزنها وجرسها وتكوينها الصوتى

استعمال الكلمة لبنائها ووزنها وجرسها وتكوينا الصوتى

من وجوه إعجاز القرآن الكريم امتيازه بجمال نظمه، وحسن إيقاعه، فألفاظه بنظمها وبنائها، وطريقة استعمالها، بلغت قمة الإعجاز البيانى التى لا يستطيع أحد من البشر أن يصل إليها مهما أوتى من الفصاحة والبيان.
لهذا اعلا القرآن الكريم، وعجز الجميع عن الوصول إلى سر روعته وإعجازه فالبلغاء لا تمتنع عليهم العربية متى أرادوا نظمها، لكنهم مع ذلك لا يبلغون حد الإعجاز فى ألفاظهم وتراكيبهم، فهى إن اتفقت لهم فى وزنها وبنائها لا تتفق فى تركيبها وإفادتها للمعنى الموضوع لها.

أما نظم القرآن فيراعى جرس الحرف فى الكلمة، وبناء الكلمة فى الجملة، ومدلول الجملة فى الآية، ونظم الآية فى السورة وهذا لا يوجد إلا بين دفتى الكتاب العزيز، ولا تظفر به فى كلام بشر ولا هو من فى سنن الله فى خلقه.

ولما كانت زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، كما أن جرس حروف الكلمة ووقعها يشتركان فى تصوير المعنى، فإننا نجد القرآن الكريم المثل الأعلى فى ذلك ومن ثم فقد قيل البيان "أن يستعمل اللفظ الأكثر حروفا إذا كان فيه معنى الأقل حروفا لبيان قوة المعنى، فإن الزيادة دلالة على ذلك"[1].

ثم إن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر اكثر منه فلابد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدل على

---

١) الأقصى القريب فى علم البيان للقاضى التنوخى ص٨٦ - الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ مطبعة السعادة.

المعانى، وهذا لا نزاع فيه لبيانه، وهذا لا يستعمل إلا فى

نتدبر قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبـ
بصيرًا﴾[٢].

نرى أن التعبير بلفظ "الأمشاج" بتداخل حروفه وتنوع صف
الحروف يدل على المعنى الذى سيق له، وهو الخلط مع التغيير من حا
حال، فالميم صوت شفوى، تليه الشين، وهى حرف تفشى ثم بعد ذلك
الجيم وهى من الحروف الشجرية لتدل على قوة ذلك الخلط والمشج ا
أدى إلى التغير من حال إلى حال.

كما نرى أن التعبير بصيغتى فعيل فى قوله: "سميعا بصيرا" له أثره ف
النظم القرآنى، فقد أتى بصيغة فعيل مبالغة فى إتقان هاتين الصفتين، ومد
قدرة الله على تمكنهما من الإنسان.

ولم يقل: "سامعاً بصيراً" لأن سمع الإنسان وبصره أكثر تحصيلا وتميزا
فى المسموعات والمبصرات من سمع وبصر الحيوان، فبالسمع يتلقى
الشرائع ودعوة الرسل، وبالبصر ينظر فى أدلة وجود الله وبديع صنعه"[٣].

وعند قراءتنا لقوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾[٤].

نجد أن الكفور ورد على صيغة "فعول" وهى صيغة مبالغة للإشعار بأن
الإنسان قلما يخلو من كفران ما، وإنما المؤاخذ عليه الكفر المفرط،

---

١) البرهان للزركشى ٣/٣٤، المثل السائر فى أدب الكاتب الشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق د/ أحمد الحوفى - د/ بدوى طبانه ٢/٢٤١ - دار نهضة مصر، الطراز للعلوى ٢/١٦٣ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٢) سورة الإنسان آية ٢.

٣) التحرير والتنوير ٢٩/٣٧٥.

٤) سورة الإنسان آية ٣.

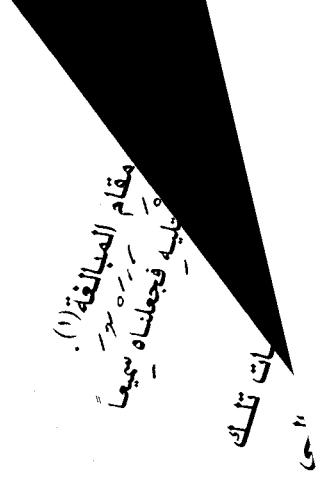

ى يؤاخذ عليه الإنسان هو الكفران

لاَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيرًا﴾(٢).

ستعملها النظم القرآنى فجاءت

مؤدية له وذك فى قوله: "اعتدنا

صور مدى ما ينتظر هؤلاء القوم الكافرين من عذاب شديد
عد ومهيأ خصيصا لهم، فهذه السلاسل التى يقادون بها إلى جهنم لخبث طويتهم، وانحراف نفوسهم، وتعاظمهم على أصحاب الدعوات الصادقة، وتشبثهم بالعقائد الزائفة، والنحل الباطلة حتى صارت سجية من سجاياهم، وطبيعة من طبائعهم.

وبجانب تلك السلاسل المحكمة التى بها أرجلهم أحضرت الأغلال التى تؤخذ بها أيديهم إلى أعناقهم، مهانة لهم وشدة عذاب لا لتوقع فرار منهم أو هروب بعد تسلسلهم تسلسلا محكما، وغلهم غلا مطبقا، ثم بعد ذلك يلقون فى نار شديدة اللهب، عظيمة الإيقاد زيادة فى الإهانة والتحقير.

فالكلمات بجرس حروفها ووقع كلماتها تبرز المعنى الذى سيقت له فى صورة مشاهد للعيان، وكأننا نشاهد ذلك المشهد الذى ترتجف من هوله القلوب، وتقشعر منه الأبدان، وهو صورة الكافر، وقد سلسل من أقدامه، وغل من يديه وعنقه منقاداً إلى نار شديدة الاشتعال والتوهج.

فهم: "إنما يجرون إلى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق، ويحقرون

---

١) تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضى القضاه الإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى ت ٩٥١هـ - ح٩ ص ٧١ - دار إحياء التراث العربى - بيروت.

٢) سورة الإنسان آية ٤.

بالأغلال لعدم تواضعهم لله، ويحرقون بالنار لعدم انحراقهم بنار الخوف من الله"[١].

فانظر إلى بلاغة الألفاظ وحسن اختيارها لتؤدى ما سيقت له من معنى، إذ تبين الجزاء العادل، إذ هو من جنس العمل.

وبذلك نرى أن ألفاظ القرآن الكريم "قد صارت بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، ولو تدبرت ألفاظ القرآن الكريم فى نظامها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجرى فى الوضع والتراكيب مجرى الحروف أنفسها فيما هى له من الفصاحة، فيهئ ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الأحرف والحركات التى قبلها قد مهدت لها طريقا فى اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم، حتى إذا خرجت منه كانت أعذب شئ وأرقه وجاءت متمكنة فى موضعها"[٢].

وننتقل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[٣].

هذا وعد من الله تعالى، وبيان لجزاء هؤلاء الأبرار الذين استجابوا فنالوا من الله هذا النعيم الجميل، الذى كان سببه إذعانهم للحق، والآية فى مقابل وعيد الكافرين.

والأبرار جمع "بر" وهو من امتثل أوامر الله تعالى وقيل "البر الموحد، وقيل هو الذى لا يؤذى الذر"[٤].

وقد عبر عنهم بالأبرار زيادة فى الثناء عليهم، وهو وصف جميل رائع لأنه جماع كل خير، وأساس كل فضيلة، وعماد كل أمة.

وآثر النظم الكريم صيغة الأبرار على صيغة "البررة" لأن الأبرار اقوى

---

١) روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البرسوى ٢٩/٢٦٢.

٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٢٦-٢٢٧.

٣) سورة الإنسان آية ٥، ٦.

٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٢٣، دار الكتب المصرية.

فى التعبير عن الاتصاف بالبر.

ولفظ "يفجرونها" المضعف يفيد الكثرة والوفرة والجريان والانبثاق بشدة، كما يدل عليه أيضا قوله: "تفجيرا" إذ أنه مصدر مؤكد للفعل متضمن معنى السهولة واليسر والمطاوعة.

أى أنها "عين" تنفجر دائما كلما أرادوا أن يشربوا من خمر هذه العين، فما هى إلا همسة خاطر حتى تنبع العين وينفجر منها الخمر على هيئة كؤوس تتناولها الأيدى من قريب[١].

ومن هنا نرى أنه جاء بـ "فجر" على "فعل" دلالة على تكرار ذلك التفجير، فتكرير العين دليل على تكرير الفعل، وهذا يناسب المقام.

وقد جاء لفظ "التفجير" بصيغة المضارعة التى تدل على التجدد، والتضعيف الذى يدل على الكثرة.

وهى من حيث دلالتها وإيحاءاتها لا يصلح أن يؤدى معناها وما تهدف إليه غيرها من الكلمات.

فالقرآن الكريم يستعمل الصيغة الدقيقة المعبرة، ويفضل الكلمة المصورة للمعنى أتم تصوير لتصل إلى قلب سامعها فتشعره بها أتم شعور وأقواه.

ويقول تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٢].

مستطيراً أى: منتشراً فاشيا غاية الانتشار - يقال استطار الفجر، واستطار الحريق، انتشر واستطال، واستطير الطائر أى طير، وهو ابلغ من طير، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فكأنه تعالى يقول: "يخافون يوما كان شره فاشيا ظاهرا وعاليا منتشرا"[٣].

فكلمة "مستطيرا" بتركيب حروفها، وجرسها القوى وبنائها الصوتى

---

١) التفسير القرآنى لعبد الكريم الخطيب ١٣٥٨/٢٩.

٢) سورة الإنسان آية ٧.

٣) تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى تحقيق محمد عبد الغنى حسن ص٣٥٦، طبعة الحلبى - بتصرف - تفسير الفخر الرازى ٢٤٢/٢٩.

الممتد، جاءت متساوقة مع المعنى مؤدية له. فـ "المراد بشر ذلك اليوم شدائده وأهواله التى تنتشر عالية ظاهرة حتى تعم الموقف كله".

قال قتادة: "استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض"[١].

وهذا لا ينفى أن لذلك اليوم أموره السارة وهى نجاة المؤمنين من هوله وفزعه قال سبحانه: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾[٢].

وننتقل إلى قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٣].

العبوس: الكريه الذى تعبس منه الوجوه وتكفهر، يقال عبس يعبس وعبوسا إذا قطب وجهه فهو عابس والعبوس فى حقيقة أصله ضيق فى الصدر يظهر أثره على الوجه"[٤].

فكلمة عبوساً قد استعملت استعمالا دقيقا لبيان نظرة الكافرين إلى ذلك اليوم، فإنهم يجدونه عابساً مكفهراً، وما اشد اسوداده فيه يفقد الأمل والرجاء.

وكلمة "قمطريرا" بثقل طائها، وطول المد فى حروفها، وتكرير رائها يشعر بثقل هذا اليوم واستطالته على من لم يعمل حسابه.

ولا يخفى ما فى تكرير "الراء" من الفائدة العظيمة للمعنى، حيث إنه يدل على طول ذلك اليوم واستطالته وشدته وامتداده فتكرير الحرف أفاد تكرير المعنى.

من هنا تظهر روعة إعجاز القرآن الكريم الذى امتاز بجمال نظمه، وحسن إيقاعه، فألفاظه بنظمها وبنائها وطريقة استعمالها بلغت الإعجاز البيانى التى لا يستطيع أحد من البشر أن يصل إليها مهما أوتى من الفصاحة وقوة البيان.

لهذا علا القرآن الكريم، وعجز الجميع عن الوصول إلى سر روعته

---

١) القرطبى ١٢٦/١٩ - دار الكتب المصرية.

٢) سورة الأنبياء آية ١٠٣.

٣) سورة الإنسان آية ١٠.

٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثانى ص١٨٥ بتصرف.

وإعجازه ، فالبلغاء لا تمتنع عليهم العربية متى أرادوا نظمها لكنهم مع ذلك لا يبلغون حد الإعجاز فى ألفاظهم وتراكيبهم فهى إن اتفقت لهم فى وزنها وبنائها لا تتفق فى تركيبها وإفادتها للمعنى الموضوع لها.

أما نظم القرآن فيراعى جرس الحرف فى الكلمة، وبناء الكلمة فى الجملة، ومدلول الجملة فى العبارة، ومدلول العبارة فى الآية، ونظم الآية فى السورة، وترتيب السورة بين سائر السور، وهذا لا يوجد إلا بين دفتى الكتاب العزيز، ولا تظفر به فى كلام بشر، ولا هو من سنن الله فى خلقه.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾(١).

هذه الكلمات جاءت تصور ذلك النعيم الوارف الذى يمتع الأعين والقلوب، فلفظ "الظلال" بجرسه القوى يدل على كمال النعيم، فالظاء بجرسها القوى تتبعها اللام مكررة تدل على أن هناك متعة متناهية ونعيماً دائماً فتلك الأشجار متشابكة الأغصان، كثيرة الفروع والأوراق، لتظليل الأبرار الجالسين تحتها تكريما وتنعيما بهذا المنظر الخلاب، الذى يأخذ بالألباب، ويبهر العيون، ويسحر القلوب، ويعجز عنه الخيال، وخاصة حين يرى الرائى منظر تذلل تلك الأشجار وانقيادها لأولئك العباد، حيث يتناولونها قائمين إن شاءوا أو قاعدين بل ومضجعين.

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٢).

عبر القرآن بـ "سقاهم" دون "أسقيناهم" لأن سقى وأسقى وإن كانتا بمعنى واحد، ويتعديان بأنفسهما إلى مفعولين، إلا انهما يحددان معنيين مختلفين، فالفعل سقى يستخدم فيما ليس فيه كلفة ولا تعب، فحين يقول الله تعالى: "وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" إنما يعنى أن أهل الجنة بمجرد إحساسهم بالظمأ يجدون الماء أمامهم، بل على أفواههم، فكل شىء فى الجنة

---

١) سورة الإنسان آية ١٤.

٢) سورة الإنسان آية ٢١.

متى تمناه الإنسان وجده حاضرا أمامه.

أما الفعل أسقى فى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ (١) فإنه يشعر بالكلفة وبذل الجهد فى الحصول عليه، فكأن الله تعالى يقول: نحن الذين أوجدنا لهم الماء، وجعلناه متوافراً لديهم بلا نصب فى إنزاله، ولكن النصب فى الحصول عليه، فهو وإن كان متوافراً فى الآبار لكن السقيا لا تتم إلا بالسعى، وبذل الجهد إلى مكان الماء، أو أن يحضر إنسان آخر الماء.

وبتعبير أدق فإن الماء رغم وجوده وتوفره إلا أن عملية السقيا فيها عمل من الإنسان أو جزء من العمل، ولهذا فرق المولى سبحانه بين السقيين، رغم أنه هو الذى أوجد الماء أو ما يتم شربه فى الحالتين.

والشراب الطُهور هو الذى بلغ فى صفائه ونقائه من كل شائبة درجة عالية، أو أن المراد بطهارته الطاهرة من كل ضر وسوء، فمن شرب منه نزع الله ما كان عالقا بقلبه من سوء.

فانظر إلى هذا التكريم فالساقى هو الله، والشراب طهور نقى صافٍ من كل شائبة، فياله من نعيم عميم وتكريم عظيم.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٢).

وفى التعبير بـ "عاليهم" دون "عليهم"، إشعار بأن ذلك اللباس بارز ظاهر على أجسامهم، يلبسونه فوق ثيابهم الباطنة، زينة لهم، وجمالاً لظواهرهم، حيث أنهم يلبسون رقيق الحرير الذى هو السندس من الداخل لنعومته وطراوته، وفوقه غليظ الحرير الذى هو نوع الإستبرق ذو اللون الأخضر الذى يسر الناظرين.

قال الزجاج: 'السندس والإستبرق نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ

---

١) سورة الحجر آية ٢٢

٢) سورة الإنسان آية ٢١.

العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به[١]"وقوله "وحلوا أساور من فضه" معطوف على قوله: "ويطوف عليهم" فهو وإن كان ماضيا لفظاً، إلا أنه مستقبل معنى، وأبرزه بصورة الماضى لتحققه وعدم الارتياب فى مجيئه إلا من معاند.

والأساور، جمع أسوار وسوار، وهو ما يجعل فى اليد.

والخضر "أحسن ما كانت نعتا للثياب فهى مرفوعة، وأحسن ما عطف الإستبرق على السندس عطف جنس على جنس والمعنى: عاليهم ثياب خضر من سندس وإستبرق "أى من هذين النوعين"[٢] وقد أثار الفخر الرازى سؤالا وأجاب عليه فقال:

"السوار إنما يليق بالنساء، وهو عيب للرجال، فكيف ذكر الله تعالى ذلك فى معرض الترغيب؟.

ويجيب بقوله: "أهل الجنة جرد مرد شباب فلا يبعد أن يحلو ذهبا وفضه، وإن كانوا رجالاً.

وقيل هذه الأسورة من الفضة والذهب، وإنما تكون لنساء أهل الجنة وللصبيان فقط، ثم غلب فى اللفظ جانب التذكير أو أن أكثر الأعمال هى باليد، وتلك الأعمال والمجاهدات هى التى يتوصل إلى تحصيل المطالب، فلما كانت تلك الأعمال صادرة من اليد، كانت تلك الأعمال جارية مجرى سوار الذهب والفضة، فسميت الأعمال والمجاهدات بسوار الذهب والفضة"[٣].

"وحلوا أساور عطف على ويطوف عليهم مع اختلافهما فى الماضوية والمضارعية لأن الحلية مقدمة على الطواف المتجدد، ولإمكان الجمع بتعدد

---

١) حادى الأرواح ص ١٦١

٢) القرطبى ١٠/١٩/١٤٦ كلمات قرآنية أو مفردات قرآنية ليحى عبد الله المعلمى ٢٤-٢٥- دار المعلمى بالرياض للنشر ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣) تفسير الفخر الرازى ٢٩/١٥/٢٥٤

الأساور لكل والمعاقبة بلبس الذهب تارة والفضة تارة".([1])

وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

نجد أن التعبير بصيغة "فعيل" فى وصفه تعالى بالعلم والحكمة له مغزاه، فهذه الصيغة من صيغ المبالغة مبالغة فى وصفه تعالى بهاتين الصفتين.

وفى ذلك إشارة إلى سعة علمه وإحاطته بالأشياء جميعا، وسعة حكمته، ومدى تقديره للأمور، ووضعها فى نصابها فهو يتصرف عن علم نافذ وحكمة بالغة.

فهو: "عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة ولهذا قال: إن الله كان عليما حكيما"[3].

يقول الألوسى: "عليما: مبالغاً فى العلم، فيعلم مشيئات العباد والمتعلقة بالأفعال التى سألوها بألسنة استعدادهم، "حكيما" مبالغا فى الحكمة فيقبض على كل ما هو وفق استعداده وما هو عليه فى نفس الأمر من المشيئة، أو أنه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل أحد من الطاعة وطلابها فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه علمه سبحانه وتقتضيه حكمته عز وجل"[4].

وفى قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[5].

نجد أن العذاب وصف بالأليم، على صيغة فعيل ولم يقل "مؤلما" للدلالة على المبالغة فى ألم هذا العذاب، حتى أن العذاب نفسه يشعر بهذا الألم.

---

[1]) حاشية الشهاب ٢٩٢/٨

٢) سورة الإنسان آية ٣.

٣) تفسر ابن كثير ٣١٩/٥٩ ط: الشعب.

٤) روح المعانى ١٦٨/٢٩.

٥) سورة الإنسان آية ٣١.

المبحث الثالث

الرقة والجزالة ومواطنها في السورة

الرقة والجزالة ومواطنهما فى السورة

تقرأ نصاً فتحكم عليه بالجزالة والقوة، وتقرأ آخر فتحكم عليه بغير ذلك، وبالطبع لا يكون هذا الحكم جزافاً، أو نتيجة للحكم على الألفاظ وحدها منفصلة عن المعانى، وإلا كان حكما خاطئا.

وقد جاء هذا الحكم بناء على حسن الاختيار للألفاظ التى تتفق مع معانيها، وتعبر عنها أتم تعبير وأدقه.

فألفاظ اللغة العربية تنقسم إلى جزلة ورقيقة، من حيث الاستعمال ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه.

والجزالة هى: "القوة والكثرة، فالحطب الجزل لغة القوى العود الذى تصبر النار بعض الوقت على التهامه، ثم قيل على سبيل المجاز: رجل جزل إذا كان ذا عقل قوى، وشعر جزل إذا تماسك وقوى أسلوبه، ففى الجزالة قوة تقابل الرقة"(١).

فالرقة إذن هى: العذوبة والسهولة.

والجزالة لا تتعارض مع عذوبة الألفاظ ورقتها، فهى ليست مجرد جمع للألفاظ القوية الغريبة المتوعرة، بل معناها القوة والرصانة، كما أن الرقة لا تتعارض مع متانة الأسر، وقوة النسيج"(٢).

ولا يمكن أن نفصل بين اللفظ والمعنى لأنهما توأمان لا يفترقان فلا ينشأ أحدهما وينمو إلا وهو فى حذو الآخر يراعيه ويسانده ويأتى طبقا له مؤديا لما يلائمه، فالمعنى دائما هو الذى يختار من الألفاظ ما يناسبه ويقويه، فإذا كان هذا هو الحال فى اللغة العربية بصفة عامة، فماذا يكون الشأن إذا فى

---

١) لسان العرب ٦١٨/١.

٢) انظر البيان القرآنى د/ محمد رجب البيومى ص٣٠، ٣١، مجمع البحوث الإسلامية - السنة الثالثة الكتاب الواحد والثلاثون، ربيع الثانى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

القرآن الكريم الذى هو قمة الإعجاز البلاغى؟.

والقرآن الكريم لا يؤثر لفظا لمجرد أنه رقيق عذب، ولا آخر لمجرد أنه قوى جزل، بل لكل منهما موضع لا يخلفه فيه غيره.

فالرقة والجزالة يخضعان للمعانى الجزئية التى ترد فى النظم، وللغرض الذى قصده المولى تعالى دون سواه من تلك المعانى، فنجدها ترق وتلين وتلطف حينا، ونجدها حينا آخر تقوى وتشتد وتغلظ حسبما يرد فى النظم من حديث ومعان يتعرض لها النظم. ونرى فى هذا الفصل محاولة لإيضاح هذا وتصويره فى سورة الإنسان.

مواطن القوة:

يستعمل القرآن الكريم الألفاظ القوية، وذلك لدى حديثه عن وعيد الكافرين، الغافلين اللاهين عن رؤية الخير لأنفسهم، فهم يستغرقون فى العاجلة، ويذرون وراءهم يوما ثقيلاً بتبعاته ونتائجه ووزنه فى ميزان الحقيقة.

نتدبر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيرًا﴾[1].

فالألفاظ فى الآية السابقة فى قمة القرع والقوة وذلك للتحذير من النار، والتهويل من شأنها، والآية تصور لنا مشهداً عنيفا مؤثرا مما أعد للكافرين يوم القيامة فالسلاسل للأقدام، والأغلال للأيدى، والنار تستعر ويشتد لهيبها ويلقى فيها بالمسلسلين المغلولين.

والآية صورت لنا مشهدا عنيفا صاخبا تهلع منه النفوس، وتخرجها عن صوابها وذلك للتحذير من الكفر والبعد عنه.

كذلك يسلك النظم الكريم هذا الأسلوب فى توكيد الافتراق بين منهج الرسول ومنهج الجاهلية، بما يقرره من غفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم، ومن تفاهة اهتمامهم، وصغر تصوراتهم يقول: "إن هؤلاء يحبون العاجلة

---

١) سورة الإنسان آية ٤.

ويذرون وراءهم يوما ثقيلا"[١].

فالآية تهديد لأصحاب العاجلة، الغافلين عن رؤية الخير لأنفسهم باليوم الثقيل، فهم يختارون العاجلة ويذرون اليوم الثقيل الذى ينتظرهم هناك بالسلاسل والأغلال والسعير بعد الحساب العسير.

وقد أتى الله بهذا المعنى فى أسلوب جزل قوى يتضمن السخرية والتهكم بالفريق الكافر، والتهديد والوعيد لهم بالعذاب.

كذلك يشتد النظم ويتعالى القرع عند التهوين من أمرهم عند الله الذى أعطاهم ما فيه من قوة وبأس، وهو قادر على الذهاب بهم وتبديل غيرهم منهم، ولكنه يتركهم لحكمة يجرى بها قدره القديم: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾[٢].

أهو قادر أن يخلق أمثالهم فى مكانهم فإذا أمهلهم ولم يبدل أمثالهم فهو فضله ومنته وهو قضائه وحكمته.

وبين لهم أن هذه تذكرة وعظة وفرصة متاحة لهم فيقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[٣].

وبعد أن يعقب على ذلك بالمشيئة بألفاظ هادئة رقيقة يعود فتقوى ألفاظ النظم وتجزل عند وعيد الظالمين فيقول: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمَا﴾[٤]. فقد أملى لهم وأمهلهم لينتهوا إلى هذا العذاب الأليم.

وكما ورد فى هذه السورة مواطن عديدة للقوة والجزالة فقد ورد فيها أيضا مواطن للرقة والليين، فالسورة فى مجموعها هتاف رخى ندى إلى الطاعة، والالتجاء إلى الله وابتغاء مرضاته وتذكر نعمته والإحساس بفضله،

---

١) سورة الإنسان آية ٢٧

٢) سورة الإنسان آية ٢٨.

٣) سورة الإنسان آية ٢٩.

٤) سورة الإنسان آية ٣١.

واتقاء عذابه، واليقظة لابتلائه، وإدراك حكمته فى الخلق والإنعام والابتلاء وهى تبدأ بلمسة رقيقة رفيقة للقلب البشرى: أين كان قبل أن يوجد، من الذى أوجده ومن الذى جعله شيئا مذكوراً فى هذا الوجود؟ بعد أن لم يكن له ذكر ولا وجود؟: هلى أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا"(١).

وورود الاستفهام يثير فى النفس كثيراً من التساؤلات فى نفس الإنسان: ألا يعرف إنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، ثم ألا يتدبر هذه الحقيقة ويتملاها. ثم ألا يدفعه ذلك التفكير أن هناك قوة قادرة دفعته إلى مسرح الحياة، وجعلته شيئا مذكورا.

ثم بعد ذلك تأتى لمسة أخرى عن حقيقة أصله ونشأته، وحكمة الله فى خلقه، وتزويده بطاقاته: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا﴾(٢).

فالحديث هنا يدعو إلى التدبر والتفكر فى أصل الإنسان بألفاظ هادئة مطمئنة تبعث الأمن فى النفس لأن الموقف يدعوا إلى التدبر والتفكير فى الخلق الأول للابتلاء بعد أن زوده الله بنعمتى السمع والبصر.

ثم بعد ذلك يأتى النظم القرآنى ويتحدث عن هدايته إلى الطريق وعونه على الهدى وتركه بعد ذلك لمصيره الذى يختاره: ﴿إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا﴾(٣).

فالآيات الثلاث رقيقة الألفاظ عميقة المعانى ورقة الألفاظ للترغيب والتأمل فالإنسان فى فترة امتحان يقضيها على الأرض ويخرج الإنسان عند قراءة هذه الألفاظ بمعان دقيقة عميقة مثقل الظهر بالتبعة والجد والوقار فى

---

١) سورة الإنسان آية (١)

٢) سورة الإنسان آية ٢

٣) سورة الإنسان آية ٣

تصور هذه الحياة وفى الشعور بما وراءها من نتائج الابتلاء.

كذلك من مواطن الرقة فى عرض سمات الأبرار، وصور المتاع والنعيم ومخاطبة الرسول الكريم؛ نقرأ قوله تعالى: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا، قواريرا من فضة قدروها تقديرا، ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا، عينا فيها تسمى سلسبيلا، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا، عاليهم ثياب سندس واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا، إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ الآيات من ٥ : ٢٢.

فالآيات السابقة تتحدث عن الأبرار وما هم فيه من رخاء ونعيم بأسلوب هادئ إيناساً وتكريما وإعلانا للفضل تاره، وللقرب من الله تعالى تارة، فى معرض النعيم والتكريم.

وقد عرف النظم القرآنى السابق بهؤلاء الأبرار فى صورة وضيئة شفافة لقلوب مخلصة جادة عازمة على الوفاء لله بتكاليف العقيدة وقد ظهر ذلك من شفافية الألفاظ ورقتها، التى نبع من شفافيتها وشدة رقتها رحمة نديه بعباده الضعاف، وإيثار على النفس وتخرج وحشيه لله، ورغبة فى رضاه، فقد فعلوا ما اعتزموا من الطاعات، وما التزموا من الواجبات، وقد أدركوا صفة هذا اليوم الذى يتفشى سره.

كما نرى عذوبة الألفاظ ورقتها عند تصوير شعور هؤلاء الأبرار بالعطف والخير ممثلا فى إطعام الطعام مع حبه بسبب الحاجه إليه وكانوا يطعمون الطعام بأريحية نفس، ورحمة قلب، وخلوص نية، وهذه الرحمة

الفائضة من القلوب الرفيقة الرفيقة تتجه إلى الله تطلب رضاه ولا تبتغى بها جزاء من الخلق ولا شكر بل كما تتقى يوما عبوسا شديد العبوس تتوقعه وتخشاه.

ومن ثم كذلك التصوير الرقيق لذلك الشعور الحساس الكريم بأن وقاهم شر ذلك اليوم الذى كانوا يخافونه، ويذكر أنهم تلقوا عن الله نضرة وسرورا.

كذلك يمضى النظم الكريم بألفاظ هادئة وعبارات مطمئنة تبعث وتنشر الرضا والثبات فى النفوس حيث يتحدث السياق عن الجنة ونعيمها الرغد، وما أعد للمؤمنين من جنات ونعيم وحلى بالأساور، وثياب الحرير، والجلوس المريح فى الجو الدافئ فى غير حر الذى فى غير برد، ويواصل السياق القرآنى رسم الصورة المرهفة الوضيئة للجنة وما فيها من تفصيلات المناعم من الشراب السائغ العذب، الذى يمر به هؤلاء الغلمان الذين هم كاللؤلؤ المنثور.

وبعد أن ينتهى ذلك العرض المفصل والهتاف الموحى للقلوب الهتاف إلى ذلك النعيم الطيب والفرار من السلاسل والأغلال والسعير يعالج حالة المشركين المُصرِّين على الكفر والعناد والتكذيب فيقول مخاطبا رسوله الكريم بألفاظ تشيع فى النفس الطمأنينة وتبعث فيها الأمن والثبات على ما هى عليه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ٢٣ : ٢٦

فالآيات خطاب للرسول -صلى الله عليه وسلم- لذلك أتت رقيقة عذبة وفى غاية الروعة والجمال تشيع الهدوء والاطمئنان فى قلب رسوله الكريم، -صلى الله عليه وسلم- وتأكيد بأن الله منزل هذا القرآن على رسوله فعليه أن يصبر على أذى المشركين وعنادهم ولكن الصبر شاق، ولابد من الزاد والمدد المعين، وهو ذكر الله فى الصباح والمساء والاتصال بمصدر نزول القرآن.

الفصل الثانى

بلاغة الكلمات الأعجمية فى السورة وآراء العلماء حولها

الفصل الثانى

بلاغة الكلمات الاعجمية فى السورة وآراء العلماء حولها

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم ضعيفة فى مفرداتها أو تراكيبها وألفاظها بل كانت تمتاز بجزالة الألفاظ ، ورقة المعانى ووضوحها وغزارتها مع الروعة فى الأداء، والرشاقة فى التعبير.

وقد نزل القرآن الكريم بها فبلغت قمة التعبير عن المعانى المعقولة والمحسوسة فى ألفاظ جزلة وعبارات متآخية قوية، وكلمات سلسه، وبذلك تحدى بها أساطين البلاغة، وفرسان البيان الذين أقر جميعهم بالعجز وشهدوا له بالتصديق، ووصفوا أنفسهم بالنقص إلا من تغابى منهم وتعامى واستكبر فحاول تكلف ما قد علم أنه عاجز عنه فأبدى من ضعف عقله ما كان خفيا مستورا، فأتى بما لا يعجز عنه الجاهل الأحمق، والضعيف الأخرق فقال: "والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، فالخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة"[١].

ومن عهد نزول القرآن الكريم إلى عصرنا هذا مرت اللغة العربية بأدوار مختلفة من حركة وجمود وبداوة وحضارة وعلو ونزول، والقرآن الكريم فى كل هذه الأدوار واقف فى عليائه يطل على الجميع من سماته، وهو يشع نورا وهداية ويفيض عذوبة وجمالا وجلالاً ويسيل فى سلاسة ورقة وجزالة، ولا يزال غضا طريا يحمل راية الإعجاز الخالد، ويبلغ أسمى الدرجات وأبهاها وأعلاها.

والكلمات التى قيل أنها أعجمية فى السورة هى:

---

١) انظر مقدمة تفسير الطبرى ص١٠، تحقيق الأستاذ/ محمود محمد شاكر.

"كافوراً" فى قوله: ﴿إن الأبرار يشربن من كأس كان مزاجها كافوراً﴾، و"زنجبيلا" فى قوله: ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾، و"سلسبيلا" فى قوله: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾، و"سندس" و"استبرق" فى قوله تعالى: ﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾.

فعندما فسر الألوسى قوله: "زنجبيلا" قال: "وعده بعضهم فى المعربات.

وعن السلسبيل يذكر ابن الأعرابى قوله: "لم اسمع السلسبيل إلا فى القرآن".

وعند تفسير السندس يقول: وهو معرب بلا خلاف بين أهل اللغة على ما فى القاموس وغيره، وزعم بعضهم أنه مع كونه معربا، أصله سندى بياء النسب، لأنه يجلب من السند.

وعند قوله: "استبرق" قال: وهو اسم أعجمى معرب عند جمع أصله: بالفارسية استبره، وفى القاموس: استربه. وحكى ذلك عن ابن دريد، وأنه قال أنه سريانى، وقيل عربى وافقت لغة العرب فيه لغة غيرهم"[١].

آراء العلماء فى هذه الكلمات وغيرها

أولا: رأى من يقول أنها أعجمية:

"يستند أصحاب هذا الرأى إلى ما روى عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن على رجل "أعجميا وعربيا" ، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿وَلَوْ جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته، أأعجمى وعربى، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[٢].

فأنزل الله بعد هذه الآية فى القرآن بكل لسان وعن أبى ميسره قال: "فى القرآن من كل لسان"[٣].

---

١) روح المعانى ٢٩/١٦٠، ١٦٢

٢) سورة فصلت آية ٤٤.

٣) الطبرى ١/١٤ - تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر.

والإمام الجوينى لا يستنكر وقوع المعرب فى القرآن الكريم بل يرى أن له فائدة فى مجال البلاغة والبيان، وقد لا يشعر بها كثير من الناس لخفائها عليهم بما تشتمل عليه من دقة البيان، وسر الإعجاز.

فهو القائل: "فإن قيل إستبرق ليس بعربى وغير العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة، فتقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك، وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة فإن لم يرغبهم فيها بالوعد الجميل، ويخوفهم بالعذاب الوبيل، لا يكون حثه على وجه الحكمة إلى أن يقول: "ثم أن الوعد بما يرغب فيه العقلاء، وذلك منحصر فى أمور: الأماكن الطيبة ، ثم المآكل والمشارب، ثم الملابس الرقيقة، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها، وأرفع الملابس فى الدنيا الحرير، ثم أن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل، وربما يكون الخفيف أرفع من الثقيل الوزن، وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع، فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثمن ولا يتركه فى الوعد لئلا يقصر فى الحث والدعاء، ثم أن هذا الواجب الذكر، أما أن يذكر بلفظ الواحد الصريح أولى لأنه أوجز وأظهر فى الفائدة، وذلك "إستبرق" فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد العرب لفظا واحدا يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد، ولا وُضع فى اللغة العربية للديباج الثمين اسم، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم، واستغنوا عن الوضع لقلة وجوده عندهم، وندرة تلفظهم به، وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة، لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل، فعلم بهذا أن لفظ "إستبرق" يجب على كل فصيح أن يتكلم به فى موضعه، ولا يوجد ما

يقوم مقامه"[١].

ثانيا: رأى من يقول أنها عربية:

استدل أصحاب هذا الرأى بالقرآن الكريم الذى يذكر فى عديد من آياته أن الله أنزل القرآن بلسان عربى مبين لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٣]، وقوله جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٤].

وغير ذلك من الآيات التى تنص على أنه كتاب عربى مبين. وقد نفى الله عنه كل لسان غير لسان العرب فقال مؤكدا ذلك: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[٥]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[٦].

وقد وضع الطبرى الدلائل الواضحة على صحة هذا الرأى حيث يرى أن هذه الكلمات الأعجمية اتفقت بألفاظها ومعانيها مع الكلمات العربية، فليس من المنطق أن تقول: أنها غير عربية، بل هى عربية أعجمية.

يقول الطبرى:

"ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما تتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بمعنيين معا؟، ويقول أيضا: "كما وجدنا اتفاق كثير منهم فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدرهم

---

١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٣٦/١ ، ١٣٧.

٢) سورة الرعد آية ٣٧.

٣) سورة الشعراء آية ١٩٢.

٤) سورة الشورى آية ٧.

٥) سورة النمل آية ١٠٣.

٦) سورة فصلت آية ٤٤.

والدينار، والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب إحصاؤه، ويمل تعداده، على أن الطبرى لم ينكر هذه الآثار المروية عن ابن عباس أو عن سعيد بن جبير، بل يقرر صحتها على تخريج آخر، غير ما يدعيه هؤلاء الذين يقولون بأعجميتها.

فيقول: "فلو أن قائلا قال فيما ذكرناه من الأشياء التى عددناها واخبرنا اتفاقه فى اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية وما أشبه ذلك عما سكتنا عن ذكره، ذلك كله عربى لا فارسى، أو قال: بعضه عربى وبعضه فارسى، أو قال: كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به، أو قال: كان مخرج أصله من عند الفرس، فوقع إلى العرب فأعربته - كان مستجهلا لأن العرب ليست بأولى أن تكون مخرج أصل ذلك منها إلى العرب، ولا العجم أحق أن تكون مخرج أصل ذلك منها إلى العرب، إذا كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجودا فى الجنسين فليس أحد الجنسين أولى بان يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر.

بل الصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا، أو حبشيا عربيا، إذا كانت الأمتان له مستعملتين وذلك هو معنى من روينا عنه القول فى الأحرف التى مضت فى صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الحبشة، ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الروم، لأن من نسب شيئا من ذلك إلى ما نسبه إليه، لم ينف بنسبته إياه إلى ما نسبه إليه أن يكون عربيا"[1].

ويحسم هذا الإشكال الرجوع للتاريخ العربى ليدلنا على معنى كلمة (عرب) وهنا نجد اختلافاً كثيراً بين رجالات اللغة العربية فى مدلول هذه الكلمة.

قال ابن منظور فى كتابه "لسان العرب": "واختلف الناس فى العرب لم سموا عرباً، فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه لغة العرب يعرب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلها، وهم العرب العاربة، ونشأ إسماعيل بن إبراهيم

---

١) تفسير الطبرى ١/١٥، ١٦ - تحقيق/ محمود محمد شاكر.

عليهما السلام معهم فتكلم بلسانهم، فهو وأولاده العرب المستعربة".

وقيل: أن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة، وهى من تهامة، فنسبوا إلى بلادهم وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها فهم عرب يمنيهم ومعدهم"[١].

من هنا يتضح أن شبه الجزيرة العربية لم تكن مستقرا لشعب واحد، بل لشعوب كثيرة ذات لغات متعددة فلم تكن الحميرية هى لغة الجنوب فقط، وإنما كانت هناك لغات أخرى متعددة كذلك كان شأن الخليج العربى الذى يسمح موقعه بأن تنشأ فيه حضارة كبرى كالفارسية التى كان أهلها يتخاطبون بلغة تخالف العربية تمام المخالفة.

أما فى شمال الجزيرة حيث أقام الغساسنة والمناذرة فقد تأثروا باللغة العبرية واليونانية والسريانية، وكانت قريش تقطن مكة أو أم القرى، أهم مدن الحجاز، حيث الحركة التجارية واسعة المدى مع تلك القبائل وغيرها شمالاً وجنوباً[٢].

وقد كانت للعرب رحلتان إحداهما إلى اليمن فى الشتاء والأخرى إلى الشام فى الصيف، ولم يقتصر الأمر على هذا، وإنما امتد إلى إقامة أناس من الفرس الروم والقبط والأحباش وغيرهم، فى مكة، وكان اتصالاتهم بأهل مكة يضطرهم إلى تعلم اللغة العربية القرشية، كما أدى ذلك إلى نقل ألفاظ غير عربية إلى لسان المكيين.

وقد انتقلت هذه الألفاظ الأعجمية من مكة إلى القبائل الأخرى عن طريق التجارة، والحجيج.

ومن هنا نرى أن أهل مكة عرفوا لغاتاً أجنبية فعلقت بالعربية ألفاظ أعجمية ، غيرت العرب بعضها بالنقص من حروفها، وجرت تخفيف ثقل

---

١) لسان العرب مادة : ع ر ب

٢) يراجع هذا بتوسع فى كتاب تاريخ الإسلام السياسى والدينى - د/ حسن إبراهيم حسن ١/٨ - مكتبة النهضة المصرية ط: السابعة.

العجمة ، واستعملتها فى أشعارها ومحافلها الأدبية حتى جرت مجرى اللغة العربية الفصيحة.

و "كانت قريش أجود العرب انعقادا للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا وإبانة عما فى النفس والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم اللذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب، وفى الأعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة الطائيين"(١).

ومن ثم قد نزل القرآن الكريم باللغة العربية القرشية التى انتظمت كثيرا من ألفاظ اللغات الأخرى ، ومن مختارات ألسنة القبائل العربية المجاورة التى قد سقطت إليهم بعض الكلمات الأعجمية واختلط بكلامهم، ولما كانت تلك القبائل تختلف إلى مكة فى موسم الحج، وأسواق العرب المشهورة كانت قريش تستملح ما شاءت من كلامهم، وتصطفى ما راق لها من ألفاظ تلك الوفود القادمة إليهم من كل صوب وحدب، ثم تصقله وتهذبه وتدخله فى دائرة لغتها المرنة التى أذعن جميع العرب لها بالزعامة، وعقدوا لها راية الإمامة"(٢).

ومن هنا فقد تحولت تلك الكلمات الأعجمية بكثرة استخدام قريش والعرب لها من ألفاظ اعجمية إلى ألفاظ عربية فصيحة.

ومن ثم فلا تعارض بين من يقول بأن تلك الكلمات أعجمية، وبين من يقول بأنها عربية.

---

١) الاقتراح فى علم أصول النمو للسيوطى تحقيق د/ أحمد محمد قاسم ٥٦ - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى.

٢) مناهل العرفان لفضيلة المرحوم محمد عبد العظيم الزرقانى ١/١٣٩ وما بعدها.

بلاغة هذه الكلمات وحسن موقعها فى السورة

وبلاغة هذه الألفاظ أنه لا يسد غيرها مسدها كما قال الرافعى:

"فبلاغتها فى نفسها أنه لا يوجد ما يغنى غناءها من نظم الآيات لا إفرادا ولا تركيبا"(١).

فمثلا السندس والإستبرق: معربان وهما أفخم وأغلى وأجمل ما يكون من ثياب لونا وأثراً وراحة نفسية مع خفة اللفظ، وظلال : المعنى لا يؤديه لفظ آخر ، وقد جمع للمنعمين رقيق الديباج الأخضر ، وقدمه على غليظ الحرير المصنع بسلوك الذهب، وفيه لمعان وبريق، حتى قيل إنه مأخوذ من البريق، وقد جمعا معا فى نصوص رمزا للعيشة الناعمة.

وقد ورد الحرير فى القرآن فى لمحات سريعة، بينما ذكر هنا أرقى ما يعرف البشر من مسميات لغيبى لم تره العين زيادة فى التكريم والترغيب، ومن ثم اختلاف طفيف باختلاف المكرمين، وفى جانب الأبرار نجد الكثير من التفضيل والتكريم"(٢).

الذى ينبع من إشعاعات الألفاظ ذاتها، والتى لا يغنى عنها غيرها فى أداء معناها.

كما جاء ذلك فى "السلسبيل" أيضا، وهو اسم عين فى الجنة، من سلسل دلالة على بلوغ النهاية فى السلاسة، وجاءت الباء مبالغة وتفوقا على ما فى الدنيا.

قال ابن الأعرابى: "لم أسمع السلسبيل إلا فى القرآن"(٣) فالقران الكريم صاغ بعض الألفاظ صياغة خاصة من أصل معروف واستعملها فى مواقف خاصة للدلالة على الإعجاز والتحدى.

---

١) إعجاز القرآن للرافعى ص ٧٦.

٢) البحر ١٢٢/٢، المفردات ٢٣٣، القاموس ١٢٠/٣، من الإعجاز البلاغى للقرآن د/صباح عبيد دراز ص٣٦، ٣٧ - دار التوفيقية للطباعة بالأزهر.

٣) من أسرار اللغة ص١٢٩.

الفصل الثالث

رعاية التسلسل المعنوى فيما بين الآيات المتعاقبة داخل السورة الكريمة

رعاية التسلسل المعنوى فيما بين الآيات المتعاقبة داخل السورة الكريمة

إن المتأمل فى سورة " الإنسان " يجد فكرة إثبات البعث والتأمل فى القدرة الإلهية تسرى بين أجزائها، وتربط بين آياتها، وتناسق الآيات المتجاورة، وتعاقبها سبيل إلى غرس عقيدة التوحيد بالله وإثبات قدرته، وإثبات البعث وإثبات أن هذا القرآن منزل من عند الله، وهى تؤكد هذا المعنى فى ذهن المتلقى.

كما تمتاز السورة بالتسلسل المعنوى بين الآيات ولا تخرج عن ذلك إلا لعبرة وحكمة تريد أن تنبه إليها كما نرى ظاهرة "التسلسل" فى عرض الأفكار بين آياتها واضحاً يقوى المعنى، ويلقيه إلى السامع بأسلوب دقيق مقنع.

تقول السورة الكريمة:

"هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا"(١).

إنها لمقدمة مثيرة من حيث معناها، ومن حيث نغمتها وجرسها، يتهيأ بها السامع كل التهيؤ للإصغاء ويستعد لتلقى ما يلقى عليه من أنباء.

فهذه ثلاث آيات متتالية، تبدأ أولاها بالسؤال والاستفهام التقريرى، ويتكرر لفظ الإنسان فى الآية الثانية، باسمه دون الضمير، للإشارة إلى أن المراد بالإنسان فى الآية الأولى آدم عليه السلام، والمراد بالإنسان فى الآية الثانية جنس الإنسان، فالآيات تريد أن تقول: أن الله تعالى الذى خلق أباه الأول بعد أن لم يكن وميزه بعناية خاصة حيث خلقه فى أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها وطبائع الأشياء وخواصها، ثم أسجد له ملائكته تكريما له وتعظيما وجعله خليفته فى الأرض دونهم، فهذا لا يعجز

---

١) سورة الإنسان الآيات من ١ : ٣.

عن بعث البشرية وجمعها ليلقى كل واحد جزاءه إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

فالآيات توجيهات إلهية ملفتة نظر الإنسان إلى بيان قدرة العلى الأعلى فتبين أنه سبحانه بعد أن خلق أب البشرية على ذك النظام الرائع والدقة العجيبة، خلق أبناءه من خلية الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح الذى يتم بين الزوج وزوجه، ثم بعد ذلك هداه وبين له طريق الهدى والضلال، وعاقبة كل، ومع ذلك فهو طليق الإرادة حر الاختيار.

وما من حرف أو حركة فى الآيات السابقة إلا ويخدم المعنى، "حتى ما تشك أن الجهة الواحدة فى نظم الجملة والكلمة والحرف والحركة .. ليس منها إلا ما يشبه فى الرأى أن يكون قد تقدم النظر، وأحكمته الروية، وراحة اللسان ، وليس منا إلا متخير مقصود إليه من بين الكلم، ومن بين الحروف ومن بين الحركات، إنما تلك طريقة فى النظم انفرد بها القرآن"(١).

ويقول سبحانه بعد ذلك:

﴿إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾(٢).

جاءت هذه الآيات آخذة فى عرض ما ينتظر هذا الإنسان بعد الامتحان، واختياره طريق الشكر أو طريق الكفران، فبينت أن ما ينتظر الكافرين السلاسل والأغلال والسعير جزاء ما صنعوا وأن ما ينتظر الشاكرين روح وريحان وجنة نعيم ورضوان من الله عميم.

ثم بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن فريقى الكافرين والمؤمنين بأسلوب الترغيب فى الجنة والترهيب من النار جاء قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا،

---

١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى ٢٥٧.

٢) سورة الإنسان آية ٤، ٥، ٦.

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾[١].

جاءت هذه الآيات لترسم لنا صفات من أقبل على الله، واستجاب لتوجيهاته، فبينت أنهم يوفون ويخافون ويطعمون ....."

ثم ذكر الله تعالى ما يلقونه من نعيم يوم القيامة فقال: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضة﴾[٢].

ويسترسل القرآن الكريم فى بيان ألوان النعيم الذى به اختص الأبرار إلى أن يقول: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾[٣].

ومن الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى اختصر فى ذكر العقاب، وأطنب فى شرح الثواب ليدل على أن جانب الرحمة أغلب وأقوى.

وبعد أن بينت الآيات السابقة أن الله قد أوجد الإنسان على هيئة دقيقة للابتلاء والاختبار بعد أن زوده بالعقل الذى يميز به بين الخير الشر، وهداه السبيل، وبعد ذلك انقسم الناس إلى قسمين شاكر وكفور، أما الشاكر فله الجزاء الحسن، وأما الكافر فله العقاب الأليم، لأنهم وقفوا ضد الدعوة وآذوا صاحبها مما جعله يضيق بهم ذرعا، ويتمنى هلاكهم، ولكن واصل النظم القرآنى حديثه لتثبيت قلب الرسول ولتشد من عزمه، وتزيل عن قلب الرسول ما ألم به من ضيق فقال: إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا، واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا.

وخص الرسول بالخطاب لأنه هو الرأس والرئيس، والخطاب للأمر أو النهى، ثم إنه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول من الأمر والنهى، قدم

---

١) سورة الإنسان الآيات من ٧ : ١٠

٢) سورة الإنسان الآيات من ١١ : ١٥

٣) سورة الإنسان آية ٢٢

بمقدمه وهى قوله: "إنا نحن نزلنا عليك ...." وهذه مقدمة فى تقوية قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإزالة الغم والوحشة عن خاطره، وإنما فعل ذلك لأن الاشتغال بالطاعة والقيام بعهدة التكليف لا يتم إلا مع فراغ القلب ثم بعد هذه المقدمة ونهيه عن بعض الأشياء، ذكر أمره ببعض الأشياء، وقدم النهى على الأمر، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وإزالة ما لا ينبغى مقدم على تحصيل ما ينبغى.

ثم ذكر بعد ذلك أحوال المتمردين والكفار فقال: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ ٢٧، ٢٨.

وبعد أن شرح الله تبارك وتعالى أحوال عباده المؤمنين وما أُعَّد لهم من نعيم مقيم، وأحوال الأشقياء الجاحدين لنعمه المتكبرين على رسوله -صلى الله عليه وسلم- أنذر من أعرض عن سبيله فقال: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا، وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالين اعد لهم عذابا أليما﴾ ٢٩، ٣٠.

ومن تأمل فيما ذكرناه علم أن هذه السورة، وقعت على أحسن وجوه الترتيب والنظام، فواضح إعجاز التسلسل المعنوى فى السورة، وقد عرضت السورة ما رامت إليه من معنى فى لفظ رشيق وأسلوب أنيق ومعنى دقيق فى خطاب رقيق، ووعد ووعيد تذكرة للمؤمنين وترهيب للكافرين، كل ذلك فى سلاسة ألفاظ ورقة معان وإعجاز يصل إلى أعلى قمم البلاغة والفصاحة.

الباب الثانى

الاساليب البلاغية فى السورة الكريمة

ويشتمل على ثلاثة فصول:-

الفصل الأول: بلاغة التراكيب

الفصل الثانى: التصوير البيانى

الفصل الثالث: المحسنات البديعية

الفصل الأول

بلاغة التراكيب في سورة الإنسان

بلاغة التراكيب فى سورة الإنسان

يقول المولى عز وجل:

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾[١] صدرت السورة بـ "هل" التى اختلف العلماء فى معناها على رأيين:

الأول : أن تكون بمعنى قد وليست للاستفهام، لأن الاستفهام محال على الله تعالى، وقد قال بهذا سيبويه والكسائى والفراء وأبو عبيده[٢]. والمبرد والرضى والزمخشرى والأشمونى وابن عباس[٣].

وعلى هذا الوجه تكون خبراً كقولك: هل أكرمتك بمعنى قد أكرمتك، تقرره بأنك قد أكرمته، أى قد أتى على الإنسان .... وقد تأتى "هل" بمعنى: "ما" فتكون للجحد كقول القائل: وهل يقدر على مثل هذا غيرى.

يقول الفراء: "هل تكون جحدا وتكون خبرا، فهذا من الخبر، لأنك تقول: هل أعطيتك؟ تقرره بأنك قد أعطيته والجحد أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟"[٤].

الثانى: "أن تكون للاستفهام الذى معناه التقرير، وهو حمل المخاطبين على أمر قد استقر عندهم وثبت، فهو هنا قد جاء لتقرير من أنكر البعث من المخاطبين حينذاك، والذين اعترفوا بان الله عز وجل هو الذى خلقهم وخلق كل شئ، ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى

---

١) سورة الإنسان آية ١.

٢) فتح البيان فى مقاصد القرآن تفسير الجزأين "عم وتبارك" للعلامة صديق حسن خان ص١٦٤ - مطبعة العاصمة.

٣) أساليب الاستفهام فى القرآن لعبد العليم فوده ص١٠٧ - ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٤) معانى القرآن للفراء ٢١٢/٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب، وانظر الأزهية فى علم الحروف للهروى تحقيق عبد المعين الملوحى ٢٠٨، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

﴿يؤفكون﴾[١].

فلما كان ذلك اعترافهم وإقرارهم كله بالخلق والإيجاد ، قالوا نعم قد مر دهر طويل لا إنسان فيه، فيقال لهم حينئذ أن الله الذى أوجدهم من العدم قادر على إحيائهم وبعثهم مرة أخرى للحساب وقيل: "إن "هل" هنا للاستفهام التقريرى لا للاستفهام المحض، وهذا هو الذى يجب أن يكون، لأن الاستفهام لا يراد من الله إلا على هذا النحو وما أشبهه"[٢].

وهذا هو الرأى الأحسن والأصوب فى معنى "هل" لأنه موافق للقواعد اللغوية، ومؤيد بما روى أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه-، وهو العربى الفصيح لما سمع هذه الآية قال: "يا ليتها كانت تمت فلا نبتلى، ولو كان ذلك استفهاما محضا ما قال ذلك، لأن من شرط الاستفهام المحض أن يكون جوابه بـ "لا" أو بـ "نعم""[٣].

هذا والمتأمل فى القرآن الكريم، يرى أن الاستفهام بـ "هل" قد جاء فيه على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول وقد استعمله القرآن الكريم كثيرا، ومن ذلك فى قوله عز وجل: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا﴾[٤] وقوله: ﴿إذ قال الحواريون، يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة﴾[٥].

غير أن الأكثر شيوعا واستعمالا هو خروج الاستفهام عن الأصل الموضوع له إلى معان مجازية تفهم من السياق.

هذا وتصدير هذه السورة بأسلوب من الأساليب البلاغية الراقية وهو الأسلوب الإنشائى الذى جاء فى صورة الاستفهام التقريرى لإثارة الانتباه فى

---

١) سورة الزخرف آية ٨٧.

٢) الفتوحات الإلهية ٤/٤٥١، ٤٥٢.

٣) التفسير الكبير للفخر الرازى ٨/٢٩٠ بتصرف.

٤) سورة الأعراف آية ٣٥.

٥) سورة المائدة آية ٩١.

نفس السامع لتلقى ما بعده من أخبار بوعى واهتمام وحضور ذهن.

وفى قوله: "لم يكن شيئا مذكورا" العائد محذوف، والتقدير "حين لم يكن فيه شيئا مذكورا، وحذف العائد هنا ثقة بفهم المخاطب، وإيجازا فى الكلام، وتنكير "شيئا" للتحقير، أى شئ تافه حقير.

والمراد بالإنسان : الجنس الشامل لآدم وبنيه لا لآدم كما ذهب إليه بعض المفسرون، وسيأتى لأنه أعيد معرفة فى قوله: "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ....." فيكون عين الأول، وآدم غير مخلوق من نطفة، فإذا أريد به الجنس فإما أن يكون جنس بنى آدم ، وهو خارج أو داخل بتغليب غيره عليه أو يجعل ما للأكثر للكل مجازا فى الإسناد(١).

وعلى هذا يكون التعريف بـ "اللام" فى الإنسان للعهد إذا كان المراد بالإنسان آدم عليه السلام، وللجنس إذا كان المراد به جنس الإنسان.

وتنكير لفظ "حين" للدلالة على عدم تعيين هذا الحين وإبهامه.

كما أن تنكير "شيئا" للتحقير، أى شيئا حقيرا تافها بدليل ذكر قوله: "لم يكن شيئا مذكورا" بعده.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾(٢).

أكد الكلام بحرف التأكيد " إن لتنزيل المشركين منزلة من ينكر أن الله خلق الإنسان لعدم جريهم على موجب العلم، حيث عبدوا أصناما لم يخلقوهم".

وفى التعبير بنون العظمة فى قوله: 'خلقنا'، 'فجعلناه' إظهارا لعظم الخلق والجعل، وعظم الخالق سبحانه، وعظم جاعل الإنسان سميعا بصيرا، فخلق الإنسان وجعله سميعا بصيرا لا يقدر عليه إلا قوة قادرة وهى قدرة

---

١) القرطبى ١٠/١٩/١٢١، حاشية الشهاب ٨/٢٨٦، ٢٨٧.

٢) سورة الإنسان آية ٢.

الله سبحانه وتعالى.

وتنكير "أمشاج" للدلالة على نوع خاص من أنواع الجنس المنكر، فالقصد هنا الإشارة إلى نوع خاص من الأمشاج وهو: "ماء الرجل وماء المرأة".

وقدم الابتلاء على السمع والبصر مع أنه مسبب عنهما! "للإشارة إلى أن الإنسان خلق للابتلاء، وأنه لم يخلق عبثا، فهو الكائن الوحيد فى هذه الأرض الذى حمل الأمانة أمانة التكليف التى عرضت ﴿عَلَى السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبالِ فَأبين أن يَحْمِلنها وأشفقن مِنها وحملها الإِنْسَان﴾[1]،[2] "والذى دل على أن فى الكلام تقديم وتأخير المعنى فالابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلق، والمعنى نختبره بالخير والشر، ونختبر شكره فى السراء، وصبره فى الضراء.

من هنا نرى دقة القرآن الكريم فى ترتيب ألفاظه، فهو يضع كل كلمة فى موضعها الأخص الأشكل.

كذلك نرى فى الكثير الغالب من آيات القرآن الكريم وفى هذه الآية تقديم السمع على البصر وذلك لأن: الاشياء المسموعة من جميع الجهات، بينما المرئيات من الجهة المقابلة للرائى فحسب.

ولأن الانتفاع بالسمع فى مقام الهدايات والنبوات أكثر من الانتفاع فى البصر يقول الخطيب الشربينى: "قدم السمع لأنه انفع فى المخاطبات، ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، وخصهما بالذكر؛ لأنهما أنفع الحواس، ولأن البصر يفهم البصيرة، وهى تتضمن الجميع.

ولذلك كان إغلاق السمع عن سماع الهدى، أساس كل انحراف، ورائد كل ضلال، وسبيل كل تأخير وتمزق"[3].

---

١) سورة الأحزاب آية ٧٢.

٢) التفسير القرآنى لعبد الكريم الخطيب ١٣٥٣/٢٩.

٣) تفسير الخطيب الشربينى ٤٣١/٤.

كما أن فى تقديم السمع على البصر فى الكثير الغالب من آيات القرآن الكريم إعجاز علمى سبق به العلوم الحديثة، يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: "قدم الله سبحانه وتعالى السمع على البصر، لأنه أول ما يؤدى وظيفته فى الدنيا، ولأنه أداة الاستدعاء فى الآخرة، لأن الأذن لا تنام أبدا، فالطفل ساعة الولادة يسمع، ولكن العين لا تؤدى مهمتها لحظة مجىء الطفل إلى الدنيا، فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا: "أن السمع هو الذى يؤدى مهمته أولا ، فإذا جئت بجوار طفل ولد منذ ساعات، وأحدثت صوتا مزعجا فإنه ينزعج ويبكى، ولكنك إذا قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فإنه لا يتحرك ولا يحس بالخطر هذه واحدة. وإذا نام الإنسان فإن كل شئ يتمكن فيه إلا سمعه، فإذا وضعت يدك قرب عين النائم تريد إيقاظه فانه لا يحس، ولكنك إذا أحدثت ضجيجا بجانب أذنه فإنه يقوم من نومه فزعا. هذه الثانية، أما الثالثة فهى: أن الأذن هى الصلة بين الإنسان والدنيا، فالله سبحانه وتعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال: ﴿فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا﴾[١].

ومن هنا: فعندما تعطل سمعهم ناموا تلك المدة لأن ضجيج الحركة فى النهار يمنع الإنسان من النوم العميق، وسكونها بالليل يجعله ينام نوماً عميقاً"[٢].

وهذا ما قرره العلم الحديث الذى أثبت "أن حاسة السمع تبدأ فى الأسابيع الأولى من ولادة الطفل، فإذا سمع صوتا صدر عنه ما يدل على تأثره به، أما البصر فيبدأ فى الشهر الثالث، ولا يتم التركيز إلا فى الشهر السادس"[٣].

---

١) سورة الكهف آية ١١.

٢) معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى ص٩٦ كتاب اليوم.

٣) القرآن كتاب الله الخالد للأستاذ حسين فؤاد طلبه ص١٤٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ٢٢.

أما ما جاء من الآيات مقدما فيه البصر على السمع فذلك لقرينة لفظية أو معنوية استدعت ذلك.

يقول الإمام عبد القاهر وهو يتحدث عن باب التقديم والتأخير: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضى بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شئ وحول اللفظ من مكان إلى مكان"(١).

وقد فصلت جملة "إنا خلقنا ....." عن التى قبلها ولم تعطف عليها وهى قوله: "هل أتى على الإنسان ....." لأن الجملة الثانية استئناف بيانى مترتب على التقرير الذى جاء فى أسلوب الاستفهام لما فيه من التشويق، فالسامع يتشوق لما يرد بعد هذا التقرير فقيل له أن الله خلقه بعد أن كان معدوما فأوجد نطفة كانت معدومة، ثم استخرج منها إنسانا، فثبت تعلق الخلق بالإنسان بعد عدمه.

ولم تعطف صفة السمع على البصر لأنهما لموصوف واحد هو الإنسان، ولا تنافى بين السمع والبصر، ولا تغاير بينهما، بل أن كل منهما تكمل معنى الأخرى.

وفى الآية إشارة إلى أن الحواس السليمة أسباب كلية لتحصي الكمالات النفسية، فمن فقد حساً فَقَدْ فَقَدَ علماً.

﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا﴾(٢). تأكيد الخبر بـ "إن" للرد على المشركين الذين يزعمون أن ما يدعوهم إليه القرآن باطل.

والإتيان بالضمير "نا" للدلالة على تعظيم الهداية وتعظيم شأن من يتصف بها، وللتفخيم من شأنها وشأن فاعلها وهو الله سبحانه وتعالى.

---

١) دلائل الإعجاز ص١٣١ وما بعدها.

٢) سورة الإنسان آية ٣.

كما نلحظ فى النظم القرآنى السابق تقديم "شاكراً" على "كفورا" للترغيب فى ذلك، وللتنبيه على فضل من شكر، ولبيان أهمية الشكر والشاكرين ومنزلتهما عند الله.

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يشير إلى معان كثيرة بتقديم بعض الكلمات على بعض.

وقد فصلت جملة "إنا هديناه السبيل" عما قبلها لأنها استئناف لبيان ما نشأ عن جملة: "نبتليه" ولتفصيل جملة "فجعلناه سميعاً بصيرا"، وتخلص إلى الوعيد على الكفر والوعد على الشكر،[1] فالجملة تعليل للابتلاء.

قوله تعالى: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا﴾[2].

أكد الكلام بـ "إن" لتأكيد مضمون الكلام وتقريره فى أذهان السامعين، ولإدخال الروع عليهم لأن المتوعد إذا أكد كلامه بمؤكد فقد أذن بأنه لا هوادة له فى وعيده، ولأن الكفار منكرون.

ومن ثم جاءت الآية بأسلوب التوكيد لتدفع النفوس المتشككة إلى الرجوع عن ضلالها وغيها، فالآية وعيد للكافرين، وكل لفظ من ألفاظ الآية كفيل وحده بتصوير المعنى الذى سيقت له الآية.

ونكر قوله: "سلاسل وأغلالا وسعيرا" للتفظيع من شأن تلك الأشياء، لتصور هول الموقف، وتبين حالة الكفار التى سوف يكونون عليها.

فتنكير هذه الأشياء للتهويل من شأن ما أعد لهؤلاء الكافرين.

وقد جاءت الألفاظ للدلالة على هذه المعانى قوية قارعة جزلة تدخل الرعب والهلع فى النفوس فتقرعهم قرعاً، وتنفرهم من الكفر الذى كان السبب فى ذلك كله.

ومما يلفت النظر ويسترعى الانتباه فى النص القرآنى السابق تكرار لفظ

---

١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٧٥/٢٩ الدار التونسية.

٢) سورة الإنسان آية ٤.

"إنا" فى قوله: "إنا خلقنا الإنسان ..... إنا هديناه السبيل .... إنا اعتدنا للكافرين ..... " ويبدو أن قوله: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر ...." دعا إلى ضرورة بيان التفضل الربانى على ذلك الذى لم يكن مذكورا، وحيث كان هذا شأن الإنسان فأى قوة تولته بنعمة الخلق والهداية غير قوة المولى جل وعلا، وإذا كان الله قد تولاه بالخلق والهداية، وكان الإنسان بالخلق وبالنعم سميعا بصيراً، وحيث لم تتركه العناية الربانية يتخذ سبيله كما شاء، وإنما عرفه ربه طريق الهدى وطريق الضلال، فكان الإنسان بذلك شاكرا أو كفورا لزم أن يبين له المولى عز وجل ما أعد لأهل الكفر قبل بيان ما أعد لأهل الشكر ليرتسم الخوف فى نفس الإنسان قبل الرجاء، وربما دفعه الخوف إلى الانضمام إلى الشاكرين؛ فكانت الآية الثالثة المبينة لما توعد الله به أهل الكفر.

فقوله فى الآيات الثلاث: "إنا" لبيان أن هذا تفضل لم يكن للإنسان به معرفه، ولم تكن له عليه مقدرة، وإنما تولاه الله بذلك كله، وما على الإنسان إلا أن يشكر فيفوز أو يكفر فيهلك.

ومن بلاغة القرآن ومناسبته لمقتضى الحال تقديم وعيد الكفار مع تأخيرهم فى الذكر فى قوله: "إما شاكراً وإما كفورا".

وذلك للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾[1].

"ولان الإنذار أنسب بالمقام وحقيق بالاهتمام، ولأن تصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن، على أن وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب

---

١) سورة آل عمران آية ١٠٦.

أطراف النظم الكريم"[١].

وألفاظ الآية فى عمومها قوية معبرة، موحية بالقوة والعظمة من خلال ظلالها وبنيتها لتناسب مقام الوعيد والتهديد.

فالكلمات متآخية فى معانيا، متلاقية فى مبانيها منسجمة فى نغماتها، وكل لفظة منها كفيله وحدها بتصوير ما يقاسيه الكافرين من آلام يوم القيامة.

وهكذا تجد ألفاظ القرآن الكريم مما يسهل على اللسان ويعذب على الآذان، تأتى معبرة موحية، مصورة للمعنى خير تصوير، ومؤدية للغرض خير أداء ، لها مقصد خاص لا يصلح مرادفها لأن يحل محلها، ولم يزده مرور الزمن إلا حفظاً لإشراقها، وسياجا لجلالها وبهائها. وما أحسن قول الرافعى:

"أما ألفاظ هذا الكتاب الكريم، فهى كيفما أدرتها، وكيفما تأملتها، وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردها، ومن أى جهة وافقتها فإنك لا تصيب لها فى نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والأنسجام العذب، وتراها تتساير إلى غاية واحدة، وتسنح فى معرض واحد، ولا يمنعها اختلاف حروفها، وتباين معانيها، وتعدد مواقعها من أن تكون جوهراً واحداً فى الطبع والصقل، وفى الماء والرونق"[٢].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾[٣].

هذا وعد من الله لعباده الأبرار المؤمنين، وهو فى مقابل وعيد الله للكفار المعاندين.

---

١) روح المعانى للألوسى ٥٣/٢٩ - إدارة الطباعة المنيرية بلبنان، وانظر تفسير أبى السعود ٧١/٩، حاشية الشهاب ٢٨٨/٨.

٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٧٣.

٣) سورة الإنسان آية ٥، ٦.

وأكد الخبر عند جزاء الشاكرين "لدفع إنكار المشركين أن يكون المؤمن خيرا منهم في عالم الخلود، ولإفادة الاهتمام بهذه البشارة بالنسبة للمؤمنين[١].

وتعريف " الأبرار " بـ "اللام" أو بـ "أل" للإشارة إلى حقيقة الأبرار.

وتنكير "كأس" لتعظيمه في نوعه، وإضافة العباد إلى لفظ الجلالة "الله" للتشريف والتعظيم من شأن هؤلاء المتحدث عنهم وزيادة في تكريمهم والثناء عليهم.

وفصل جملة: "إن الأبرار يشربون من كأس ....." عن الجملة التي قبلها وهي قوله: "إن اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا ...." لما بينهما من شبه كمال اتصال، فجملة "إن الأبرار يشربون من كأس" بمثابة جواب لسؤال اقتضته الجملة الأولى وهي جملة "إنا اعتدنا للكافرين ...." فعندما سمع المخاطب جزاء الكافرين فكأنه سأل إذا كان هذا عقاب الكافرين وجزائهم، فما جزاء الأبرار المتقين وثوابهم؟.

كذلك فصلت جملة: "عينا يشرب بها عباد الله" عن جملة "إن الأبرار" لأن جملة "عينا يشرب بها عباد الله" بمنزلة البدل من جملة: "إن الأبرار يشربون من كأس".

ونلاحظ أن النظم الكريم أوجز وعيد الكفارن وأطنب في وعد الأبرار، للدلالة على رحمته ولطفه بعباده، وللترغيب في الجنة وما فيها من الوان التنعيم والتكريم.

والقران الكريم عموما يمتاز بالإيجاز الذي هو أعلى طبقات البلاغة مكانا وأسماها منزلة.

ثم مدح الله تعالى هذا الشراب المخلوط بالكافور فقال: ﴿عينا يشرب بها

---

١) التحرير والتنوير ٢٩/٣٧٩.

عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (١).

والمراد بعباد الله: "الأبرار" ، وإعادة ذكرهم بلفظ "العبودية" إظهارا فى مقام الإضمار ليتأتى من ذلك إضافتهم إلى الله، وفى ذلك تشريف وتكريم لهؤلاء العباد، ورفع لشأنهم، وهم جديرون وأحقاء بهذا التشريف والتكريم.

ولأن العبادة بمعناها الحقيقى تشمل كل ما يعمله الإنسان من إقامة للشعائر، ومعاملة حسنة للإنسان وغيره، ما دام يقصد بذلك وجه الله بلا تملق ولا رياء، أو تطلع إلى ما فى يد الغير.

وحين يدرك الإنسان المؤمن ذلك، فإنه سيرتفع إلى ذروة العبودية، لأنه ترفع عن الدنايا، لاعتقاده بأن هدفه من العبادة بالنية الخالصة لله بالعمل فى حدود طاقته.

بذلك تتسرب العبادة حتى تصل إلى قلب المسلم وعقله، وهذه هى المرتبة السامية التى وصل إليها عباد الله، والتى من أجلها أضيفوا إلى اسم الله فى آيات عديدة من القرآن الكريم.

وهؤلاء العباد عباد مقربون لإخلاصهم النية لله فيما يفعلون، ولأنهم عن لهو الحديث معرضون، لذا أضافهم مولاهم إلى اسمه العظيم تشريفا وتكريما.

يفجرونها تفجيرا:

أى يجرونها حيث شاءوا من منازلهم جرا سهلا غير ممتنع عليهم يقال: فجر الماء فانفجر وبابه نصر وفجره تفجيرا فتفجر، خرج بكثرة ووفرة، وعلى هذا فالجملة صفة أخرى لـ 'عينا' (٢) وتنكيره للتنويع أو هو من

---

١) سورة الإنسان آية ٦.

٢) المفردات ٣٧٣.

التفجير لأن الفجر الشق الواسع"[١].

ثم أخذ الله بعد ذلك في الحديث عن صفات الأبرار التى بها استحقوا ذلك النعيم فقال: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾[٢].

ونلحظ أن النظم الكريم عبر بقوله: "يوفون" بدل أوفوا وهو بمعنى إعطاؤه حقه وافياً، استحضار للصوره الماضية، وللدلالة على تجدد وفائهم بما عقدوا عليه ضمائرهم من الإيمان والعمل الصالح، وذلك مشعر بأنهم يكثرون نذر الطاعات وفعل القربات، ولولا ذلك لما كان الوفاء بالنذر موجباً للثناء عليهم.

وللدلالة على أن هذا الخُلُق قد تأصل فيهم، حتى صار الوفاء به خلقا ثابتا من خلائقهم، وعادة من عاداتهم التى لا تنفك عنهم بحال.

وإشعاراً بأن هذا الخلق، ليس مقصوراً على أولئك الأخيار فى ذلك الزمن فحسب بل إنه خُلُق متجدد فى كل وقت لمن قرأ هذا الكتاب وامتثل لأحكامه، وتعاليمه، ومثل ذلك صيغة 'يخافون' فهى دالة على تجدد خوفهم شر ذلك اليوم.

ووفائهم بالنذر "مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه، كان بما أوجبه الله عليه أوفى"[٣].

وقدم صفة وفائهم بالنذر لأن هذا اللون من النذر يدل على أن صاحبه قوى الإرادة ، ماضى العزيمة، سامى النفس، حتى الضمير لا تحركه العواصف أو تثنيه عن إرادته الأراجيف، فهو إذا قال فعل، وإذا فعل تفانى، وإذا تفانى تسامى، وإذا تسامى احتقر الدنيا وطلابها، وآثر عليها الآخرة وما فيها.

---

١) حاشية الشهاب ٨/٢٨٨.

٢) سورة الإنسان آية ٧.

٣) تفسير الفخر الرازى ٢٩/٢٤١.

يقول الشيخ المغربى:

"وخص هذه الخصلة بالتقديم على الخصلتين الأخريين، لأن المراد بالنذر هنا قوة الإرادة فلا يأخذ الإنسان على نفسه عمل خير، أو ممارسة فضيلة، أو قياما بأمر نافع له أو لقومه دنيا وأخرى، إلا وأمضاه ووفى به، وإلا فهو ضعيف الإرادة، ساقط العزيمة هش النفس، ومثل هذا هو الذى عابه القرآن، ولم يجعله من خصال الأبرار الذين يستحقون دخول الجنان"(١).

هذا والتعريف فى النذر للجنس، فهو يعم كل نذر.

وتنكير "يوماً" يفيد التفخيم والتعظيم من شأن ذلك اليوم، وشأن ما يقع فيه من أهوال.

وقوله: "يخافون يوما" مجاز عقلى، ناشئ عن تعلق اليوم بالخوف، فهم إنما يخافون ما يجرى فى ذك اليوم من الحساب والجزاء على الأعمال السيئة بالعقاب، فعلق فعل الخوف بزمن الأشياء المخوفة. مبالغة فى ذلك الخوف.

وجملة يوفون بالنذر ..... استئناف بيانى، فهى بمثابة جواب لسؤال اقتضاه النظم السابق، فهو يثير فى نفس السامع المغتبط بأن ينال مثل ما نالوا من النعيم والكرامة فى الآخرة، فيهتم بأن يفعل مثل ما فعلوا، فذكر بعض أعمالهم الصالحة التى هى من آثار الإيمان مع التعريض لهم بالاستزادة منها فى الدنيا، لذلك لم تعطف الجملة على سابقتها.

وعطف جملة "ويخافون يوما كان شره مستطيراً " على جملة "يوفون بالنذر" لأنهم لما وصفوا بالعمل بما ينذرونه اتبع ذلك بذكر حسن نيتهم، وتحقق إخلاصهم فى أعمالهم، لأن الأعمال بالنيات فجمع لهم بهذا صحة الاعتقاد وحسن الأعمال"(٢).

---

١) تفسير جزء تبارك ص١١٨ بتصرف.

٢) الترحير والتنوير ٣٨٣/٢٩.

وذكر فعل "كان" للدلالة على تمكن الخبر من المخبر عنه فشر ذلك اليوم ليس واقعاً فى الماضى، وإنما يقع بعد ذلك فى المستقبل البعيد فالتعبير عن المستقبل بلفظ الماضى للدلالة على تحقق وقوعه.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾[1].

وخص "المسكين واليتيم والأسير" بالذكر لأن المسكين عاجز عن اكتساب قوته بنفسه، واليتيم من مات أبوه، وبقى عاجزاً عن الكسب لصغره، والأسير لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولانصرا ولا حيلة.

وهذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقى نخلاً بشىء من شعير، حتى أصبح وقبض الشعير، وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئا ليأكلوه، فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا له الطعام، ثم صنع الثلث الباقى فلما تم نضجه أتى يتيم، فأخرجوا له الطعام، ثم صنع الثلث الباقى فلما تم نضجه أتى أسير فأطعموه ثم الثالث، فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا يومهم فانزل الله هذه الآيات.

وقد نكرت هذه الألفاظ لإفادة العموم، حتى وإن كانوا من غير المسلمين فالعطف عليهم من شيم المؤمنين، وعلامات الموحدين، الذين اعتنقوا دينا يسوى فى الحقوق والواجبات بين الناس جميعا.

وذكر الطعام بعد "يطعمون" يفيد تأكيدا مع استحضار هيئة الطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة"[2].

فتعبير القرآن الكريم بإطعام الطعام من التعبيرات البليغة الدقيقة التى توحى بقسوة أولئك المكبين الذين كانوا نموذجا شحيحا لا هم له إلا سعادة نفسه وإن شقى المجتمع من حوله، فهو يبذل فى مجالات الشهوات والمفاخر النفيس من المال، بينما كان عباد الله فى تلك البيئة واحة هزيلة على

---

١) سورة الإنسان آية ٨.

٢) التحرير والتنوير ٢٩/٣٨٤.

المحتاجين، ونموذجا صاح النفس كريم الخلق، يرى الوجود فى سعادة نفسه والمجتمع من حوله يفعل ذلك والأحوال المالية ضعيفة شاقة والزمن الذى يعيشه مجاعة تكاد تقتل أولئك الذين ذكروا الله من أصحاب الحاجات ممن أضوعهم الجوع والفقر، وأذلهم الحرمان أو فقدوا الكافل والمال، أو المال والأهل والأوطان.

وقد عطف جملة "ويطعمون الطعام" على التى قبلها لما بينهم من توسط بين الكمالين. فالجمل متفقة فى الخبرية، ووجد الجامع وهى أن كلا منهم تتحدث عن الأبرار وصفاتهم.

كذلك عطف المفردات "مسكينا ويتيما وأسيرا" لوجود الجامع وهى كون كل منهم يستحق التصدق عليه.

وذكر المسكين أولا واتبعه بذكر اليتيم والأسير لتدرج مرتبة كل منهم فى استحقاقه الصدقة والعطف عليه.

وهكذا نجد أن النظم القرآنى يعطف الجمل على بعضها إذا كان بينهما مناسبة، ويفصلها إذا لم يكن كذلك حسب استدعاء الحال واقتضاء المقام.

والفصل والوصل من الأساليب البلاغية الجميلة فى اللغة العربية وخاصة النظم القرآنى، وهو من أصعب علوم البلاغة وأدقها عمقا، يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى: "أعلم أن العلم بما ينبغى أن يصنع فى الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجىء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، والأقوام الذين طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة فى ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر فى ذلك أن جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنه فقال: معرفة الفصل من الوصل، وذلك لغموضه، ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز

الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معانى البلاغة"[١].

ونتأمل قوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا﴾[٢].

هذه الجملة مقول قول محذوف تقديره: يقولون لهم أى للذين يطعمونهم، ولذلك لم تعطف على الجملة التى قبلها لأنها تعليل لسبب الإطعام، وهم يقولون ذلك تأنيسا لهم، ودفعا لانكسار النفس الحاصل عند الإطعام، أى ما نطعمكم إلا استجابة لأمر الله فالمطعم الحقيقى هو الله.

وفى قوله: "إنما نطعمكم لوجه الله" أسلوب قصر، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافيا وهو قصر قلب مبنى على تنزيل المطعمين منزلة من يظن أن من أطعمهم يمن عليهم ويريد منهم الجزاء والشكر، بناء على المتعارف عندهم، فجاءت الآية تقلب عليهم اعتقادهم.

﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾[٣].

امتازت الآية بالنغمة الهادئة، والألفاظ الرقيقة السلسة العذبة التى تصور ذلك النعيم الأخروى، وتشيع فى النفس الأمن والطمأنينة، وتدخل البشر والسرور فى نفوس الأبرار ترغيبا لهم وحثا لغيرهم على المثابرة والاجتهاد فيما يوصلهم إلى ذلك النعيم الأخروى الذى فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد جاء الكلام خاليا من التأكيد لأن الآيات تتحدث عن أمر من الأمور الغيبية التى لا يعلمها إلا الله والمخاطبون خالوا الذهن عن هذه الأشياء.

والخبر جاء لغرض التعريض بالترغيب فى الطاعة والإيمان، والتحذير

---

١) دلائل الإعجاز ١٧٠-١٧١ تحقيق محمد رشيد رضا - مفتاح العلوم للسكاكى ٢٤٨ - الإيضاح للخطيب القزوينى ٨٦ وما بعدها - الطراز للعلوى ١٣/٢ - شروح التلخيص ٢/٣ وما بعدها.

٢) سورة الإنسان آية ٩.

٣) سورة الإنسان آية ١١، ١٢.

من المعصية والعصيان، وفى ذلك إطماع للمؤمنين وإقناط للكافرين.

والفاء فى قوله: "فوقاهم" للسببية أى فبسبب خوفهم حفظهم الله ونجاهم من هول ذلك اليوم، ودفع عنهم شدته وبأسه، وأتاهم حسنا فى وجوههم بدل عبوس الكافرين، 'وهذا من باب التجانس البليغ، وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه"[١].

والمراد بالنضرة: "البياض والنقاء، أو الحسن والبهاء، أو أثر النعمة"[٢].

وفى كلمتى "النضرة والسرور" تعبير دقيق عن المظهر الحسى لهؤلاء المؤمنين وما يبدو على وجوههم من الإشراق، وما يملأ قلوبهم من البهجة والسرور.

وفى الكلام حذف مضاف تقديره: فجزاهم بما صبروا دخول الجنة ولبس الحرير، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وحذف المضاف من أجمل أنواع الحذف، لأن فى "حذفه ضرب من الاتساع، وذلك كثير واسع"[٣].

والآية من "المحذوفات المجازية، ومن حق المجاز أن يقر حيث ورد"[٤].

وقد صورت الألفاظ المعنى الذى سيقت له أدق تصوير، و"بسبب صبرهم على الاستجابة لأمر الله، وما آثروا به غيرهم، أعطاهم ونولهم ربهم جنة فيها مأكل هنئ، وعيش رغيد، وحرير يلبسونه ترفها وتنعما، جزاء لهم وحسن ثواب.

والمراد بالصبر الذى بلغوا به مرتبة الكمال، وعن طريقه نالوا أعظم الدرجات وكل ما من شأنه أن يكون الصبر عليه طاعة، فهم قوم قد صبروا

---

١) تفسير ابن كثير ٣١٥/٥٩ مطابع الشعب.

٢) المفردات ٤٩٦، وانظر فتح القدير للشوكانى ٣٨/٥، القرطبى ١٣٦/١٩/١.

٣) الخصائص لابن جنى ٢٦٣/٣.

٤) الطراز ١٠٥/٢.

على الطاعة وما فيها من مرارة القيام، وحرمان النفس من لذة الغنام وجلا وخوفا من عذاب الله. وأيضا فقد صبروا عن المعاصى، وحبسوا أنفسهم عنها، وفى ذلك حرمان للنفس من شهواتها وملذاتها الأمر الذى يتطلب عزيمة قوية من رجال صنعهم الله على عينه، واختارهم لعبادته، هؤلاء الصفوة الذين صبروا على الطاعة وما فيها من نصب، إنهم كرماء أسخياء بل هم يؤثرون الغير على النفس ويفضلونه عليها لأنهم يؤمنون أنهم لم ينالوا رضا الله إلا إذا فعلوا ذلك.

فهذه الآية على وجازتها قد جمعت بين لذة الطعام ولذة اللباس فى كلمتين اثنين، مما يدل على أن هذا الكتاب "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"(١)، لا توجد فيه كلمة بل حرف إلا له موقعه من الجملة، فالقران إلى جانب القصر فى اللفظ، قد جمع إلى جواره الوفاء بالمعنى، مقدرا فى ذلك حاجة النفوس من الهداية الربانية، دون تغليب لأحدهما على الآخر، ومع ذلك فالمعنى واضح جلى لا نقص فيه ولا خلل ولا زيادة تشعر السامع أو القارئ بالملل.

قال المغربى: "وفى الآية إيجاز أخذ بأطراف الإعجاز، لأنه تعالى أشار بقوله: "جنة" إلى ما يتمتع به الأبرار فى دار الكرامة من أنواع الثمار الشهية، والمطاعم الهنية، كما أشار بقوله: "وحريرا" إلى ما يتصفون به من طروب الزينة وهو الحرير الذى كان أنفس ملبوس عند العرب"(٢).

وقد عطفت جملة "وجزاهم بما صبروا" على جملة "ولقاهم نضرة وسرورا" لاتحاد المسند إليه فى الجملتين وهو "الضمير العائد على الأبرار" وتكون كلتا الجملتين مسببة عن خوفهم أى فبسبب خوفهم وصبرهم "جزاهم ووقاهم".

---

١) أول سورة هود.

٢) تفسير جزء تبارك ص١١٩ بتصرف وإيجاز.

وننتقل إلى قوله المولى عز وجل: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١].

نرى أن "دانية" نصبت على الحال لأنها معطوفة على متكئين، أو منصوبة على أنها نعت "للجنة" أى وجزاهم جنة دانية فهى صفة لموصوف محذوف.

وقد عطفت جملة "وذللت" وهى جملة فعلية على جملة "ودانية" للإشارة إلى أن التظليل أمر دائم لا يزول لأنها لا شمس فيها بخلاف التذليل، فإنه أمر متجدد وطارئ.

ويسترسل النظم الكريم فى بيان لون آخر من ألوان النعيم الذى ينعم به الأبرار فيقول: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[٢].

والطواف "مشى مكرر حول شئ أو بين أشياء"[٣]، فلما كان أهل المتكأ جماعة كان دوران السقاء بهم طوافاً.

والآنية: الأوعية المخصصة للشرب[٤]، والأصل أأنية بهمزتين الأولى مزيدة للجمع، والثانية فاء الكلمة ككساء وأكسية، فقلبت الثانية ألفا وجوبا".

والأكواب : "الكيزان العظيمة التى لا آذان لها، ولا عرى[٥]، وهى جمع كوب". فيكون الشرب منه فى كل موضع سهلا يسيرا.

والقوارير : "جمع قارورة، إناء رقيق من الزجاج يوضع فيه الأشربة[٦]".

---

١) سورة الإنسان آية ١٤.

٢) سورة الإنسان آية ١٥، ١٦.

٣) المفردات ٣١١.

٤) المرجع السابق ٢٩.

٥) المفردات ٤٤٣.

٦) المرجع السابق ص٣٩٨.

ومعنى كانت قوارير "أى هو من تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين".

ومنتهى مراد الرحل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل، أما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله: "كانت قواريرا"، وأما النقاء فقد ذكره بقوله: من فضة، وأما الشكل فقد ذكره بقوله: "قدروها تقديرا"[١].

والنظم السابق بعمومه وعد لهم بإعطاء متمناهم فى الدنيا مع مزيد عليه من نعم الآخرة "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".

وعطف على جملة "يشربون من كأس .... الخ" لتناسب بين جملة "يشربون" وجملة " ويطاف عليهم" فى الفعلية والمضارعية وذلك من أحسن الوصل، حيث عاد الكلام إلى صفة مجالس شرابهم.

وقد عطف جملة "ويطاف ..." على جملة "إن الأبرار" مع أن جملة "يطاف' بيان لما أجمل فى جملة "إن الأبرار" لما فيها من مغايرة مع الجملة المعطوف عليها من صفة آنية الشراب، فلهذه المناسبة أعقب ذكر مجالس أهل الجنة ومتكآتهم بذكر ما يستتبعه مما تعارفه أهل الدنيا من أحوال أهل البذخ والترف واللذات، بشرب الخمر ويطاف عليهم آنية من الخمر مسقاه.

وعطف "أكواب" على "آنية" من عطف الخاص على العام لأن الأكواب تحمل فيها الخمر لإعادة ملئ الكؤوس، ووصفت هنا بأنها من فضة، أى تأتيهم آنيتهم من فضة فى بعض الأوقات ومن ذهب فى أوقات أخرى كما دل عليه قوله فى سورة الزخرف: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾[٢]، لأن للذهب حسنا، وللفضة حسنا، فجعلت آنيتهم من المعدنين النفيسين لئلا يفوتهم ما فى كل من الحسن والجمال، أو يطاف عليهم بانية من فضة وآنية

---

١) تفسير الفخر الرازى ١٥/٢٩/٢٤٩، ٢٥٠.

٢) سورة الزخرف آية ٧١.

من ذهب متنوعة متزاوجة، لأن ذلك أبهج منظرا.

ولإدخال المسرة على أنفسهم بحسن المناظر، فانهم كانوا يتمنونها فى الدنيا لعزة وجودها، أو وجود الكثير منها، وآثر ذكر آنية الفضة هنا لمناسبة تشبيهها بالقوارير فى البياض"[١].

وقيل "أنه عطف الأكواب على الآنية ليشعر أنه يريد بالآنية صحاف الطعام، لأن الأكواب أوانى الشراب"[٢].

فهذه الآية تدل على أن الآنية هى صحاف الطعام، كما تدل عى أن الأبرار يأكلون فى صحاف من فضة وأخرى فى صحاف من ذهب كما أنهم يسقون فى أوانى الفضة، وقد يسقون فى أوانى الذهب، فلا منافاة بين الأمرين لأنه من قبيل التنويع الذى يشعر بزيادة الرفاهية، ومتعة الأنظار برؤية الأوانى والأكواب المتباينة معدناً ومنظراً.

وتلك الأكواب المخصصة لشراب الأبرار كانت بتكوين الله لها قوارير، أى زجاجاً شفافاً يرى ما بداخله من الأشربة وعلى المبالغة فى الصفاء والنقاء اللذان يصاحبان تلك القوارير، حتى ليخيل للرائى أنها من الزجاج الخالص، علما بأنها من الفضة، مما يدل على أنه لا مثيل لها، ولا شبيه فى دنيا الناس.

وكرر لفظ القوارير بعد بيان كون الآنية من فضة، لتبين الآيات أن الآنية والكؤوس كلها من الفضة ولتكون المتعة بشكل الإناء، وكونه يملأ بما يكفى رغبة الشارب دون زيادة أو نقص.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[٣].

وقد عطف على وصف الآنية ومحاسنها وصف الشراب الذى يحتويه وطيبه.

---

١) التحرير والتنوير ٣٩٢/٢٩.

٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزيه ص١٦١ - الطبعة الثانية - نهضة مصر.

٣) سورة الإنسان آية ١٧، ١٨.

ونكر "كأس" و"عينا" للتفخيم والتعظيم من شأنها، وشأن من يسقى منها.

وسلسبيلا "يقال سلسلة وسلسال وسلسيل أى عذب سهل المساغ، وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة "سداسية". ودلت على غاية السلاسة، قال الزجاج السلسبيل فى اللغة صفة لما كان فى غاية السلاسة. والفائدة فى ذكر السلسبيل هو أن ذلك الشراب يكون فى طعم الزنجبيل وليس فيه لذعة، لأن نقيض اللذع هو السلاسة. وسميت بذلك لأنها لا يشرب منها إلى من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح"(١).

وهذه اللفظة من مبتكرات القرآن الكريم الجارية على أساليب الكلام العربى، حيث لم تسمع هذه اللفظة إلا فى القرآن الكريم.

يقول الرافعى: "ولقد صارت ألفاظ القرآن الكريم بطريقة استعمالها، ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإن أحدا من البلغاء لا تمتنع عليهم فصح هذه العربية متى أرادها، وهى بعد فى الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن فى كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، لكنها فى القرآن تظهر فى تركيب ممتنع فتعرف به، ولهذا ترتفع إلى نوع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التى هى طبيعة فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية فى اللغة"(٢).

ومما يلفت النظر فى النظم القرآنى أنه عبر أولا بقوله: "يشربون من كأس كان مزاجها كافوار" وعبر ثانيا بقوله: "يسقون فيها كأسا" والماء الذى يشربون يختلط مرة بالكافور، وثانية بالزنجبيل، وتلك إشارة إلى التنعيم والتكريم الربانى للأسرار، فتارة يتلذذ__ بكونهم يشربون، وأخرى تكون لذتهم بكونهم يسقون بأيدى غيرهم، فإذا أرادوا أن يشربوا فإن العين يفجرونها بأيديهم، وإذا رغبوا أن يسقيهم غيرهم فمن عين السلسبيل كما

---

١) الفخر الرازى ١٥/٢٩/٢٥٠، ٢٥١.

٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٢٥٦.

انهم إذا أرادوا أن يشربوا بأيديهم كانت مهمة الساقين أن يطوفوا بالآنية والأكواب وإذا أرادوا أن تسقيهم أيدى كان الساقون الولدان، كما أن الماء الذى يشربون يختلط بما يحببه إلى النفس رائحة وطعما تزين رائحته الكافور، كما يزين طعمه الزنجبيل، وسبحان من فضله لا ينفذ، ونعمة لا تعد.

﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾(١).

عطف جملة: "ويطوف عليهم" على الجملة التى قبلها وهى جملة "ويسقون فيها كأسا" لاتحادهما فى الخبرية والفعل فيهما مضارع، ولكون كل منهما تتحدث عن موضوع واحد وهو: الدلالة على ما للأبرار من نعيم وثواب أخروى.

وقد ذكر الطواف فى قوله: "ويطاف عليهم" بلفظ المجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون، ولهذا قال: "بآنية من فضة"، ثم ذكر الطائفين فقال: "ويطوف عليهم ولدان مخلدون"(٢).

ف "التكرير أسلوب تعبيرى يصور انفعال النفس، واللفظ المكرر هو المفتاح الذى ينشر الضوء على الصور لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو ما يجب فى الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم فى حكم المخاطبين ممن يصل اليهم القول على بعد الزمان والديار"(٣).

وقوله: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾.

هو نوع آخر يفوق النوعين السابقين بدليل إسناد سقيه إلى رب العالمين.

وفى هذا التعبير "احتراس مما يوهمه شربهم من الكأس الممزوجة

---

١) سورة الإنسان آية ١٩.

٢) أسرار التكرار فى القرآن لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ص١٩٩ -- الطبعة الأولى - دار الاعتصام.

٣) أسرار التكرار فى القرآن للكرمانى ص١٣٦.

بالكافور والزنجبيل من أن يكون فيها ما فى أمثالها المعروفة فى الدنيا، ومن الغول والهذيان وفحش القول. فعبر عن ذلك بكونه ليس مجرد شراب بل هو شراب طهور، وقد أتى بصيغة المبالغة مبالغة فى الطهارة والنزاهة عن الخبائث والفساد.

يقول أبو السعود: "ووصفه بالطهورية، فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية، والركون إلى ما سوى الحق، فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه، وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين"(١).

وقد عطفت جملة "وسقاهم ربهم شرابا طهورا" على جملة "وحلوا أساور من فضة" التى عطفت على جملة "عاليهم ثياب سندس"، لاتحاد المسند إليه فيها 'وهو الضمير العائد على الأبرار واتفاقها فى الخبرية.

وهى جمل قد عبر فيها بالماضى عن المستقبل، إشارة إلى تنسيق النعيم وتعدده فى زخرفة وجمال، وأنه أمر طبيعى ثابت تكريماً وترغيباً.

---

١) تفسير أبى السعود ٩/٧٥.

فى إسناد السقيا إلى الرب سبحانه ما يشعر بأن الشراب الذى يسقاه الأبرار من نوع خاص ، ونكهة معينة لا يمكن ادراكها بالوصف ، مهما حلق الواصف فى أجواء خياله ، لأن الله هو الساقى ، وفى ذات الوقت هو الذى وصف هذا الشراب بالطهورية فبوصفه سبحانه له ، ضعف وصف الواصفين ، وانكسرت أجنحة المحلقين ، حتى يبقى الأمر غيباً لتشويق المؤمنين ، فيبادروا بالأعمال الصالحة التى تدنيهم مما يسقى رب العالمين ، وحين ذاك يتذوقون لذته الحقيقية عندما يشربون مع الشاربين.

كما أن فى ذلك تعظيم لهم ، وإظهار لكرامتهم ، أي أمر هو بسقيهم ، كما يقال : أطعمهم رب الدار وسقاهم .

ثم لا يزال التكريم الربانى ينتقل من نوع إلى نوع ومن مقام إلى مقام إلى أن ينتهى إلى حضرة نور الأنوار ، فيضمحل فى نور تجليه سائر الأنوار ، وهذا آخر سير الصديقين ، ومنتهى درجاتهم فى الارتقاء إلى مدارج الكمال فلهذا أضاف السقيا إلى ذاته قائلاً ' وسقاهم ربهم ... ' فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾ (١)

التقيد بـ " إذا أفاد معنى الشرطية ، فدل على أن رؤية النعيم لا تختلف من بصر المبصر هنالك ، فأفاد معنى : لا نرى إلا نعيما ، أي بخلاف ما يرى فى جهات الدنيا " (٢)

قال الفراء " مفعوله وهو الموصول مضمر تقديره " ما " والذى اختاره أصحاب المعانى أن يكون المفعول متروكا ليشيع ويعم (٣)

---

(١) سورة الإنسان آية ٢٠

(٢) التحرير والتنوير ٣٩٨/٢٩

(٣) حاشية الشهاب ٢٩١/٨ ، رغائب الفرقان ٢٦/٢٩

والمعنى : " أن بصرك إينما وقع فى الجنة رأيت نعيما وملكا هنيئا واسعاً ، ففى الحديث : " أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه " (١)

هذا وقد عطفت جملة " وَإِذَا رَأَيْتَ ..... " على جملة " إذا رأيتهم لكون كل منهما جملة شرطية ، وفعل الشرط فيهما واحد ، ولقصد مشاركتها فى الحكم الإعرابى ، ولكون كل منهما تتحدث عن النعيم الأخروى للأبرار .

وفى قوله " إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا " (٢)

هذا القول من رب العباد للأبرار ليتم نعمته وقد جاء الكلام مؤكدا للدلالة على استحقاقهم هذا النعيم : أي أن هذا النعيم الذى أكرمتكم به يا عبادى جزاء عملكم الخير فى التزام أوامرى ، واجتناب ما نهيت لذا كان سعيكم للخير من السبق إلى الفضائل بل الدأب على أدائها ، وبذل ما فى وسعكم لإغاثة الملهوف ومواساته ورحمة وكان سعيكم مثابا عليه منى " وهذا هو معنى الشكر والحمد والرضا والعجب إذا نسب إلى الله ، إذ تستحيل فى حقه تعالى أمثال هذه العوارض البشرية والانفعالات النفسية " (٣)

وقد أشار إلى النعيم باسم الإشارة القريب " هذا " إشارة إلى النعيم والثواب الأخروى ، وقد عرف المسند إليه باسم الإشارة القريب هذا " لتمييز المشار إليه أكمل تمييز بإحضاره فى ذهن السامع بواسطة الإشارة حساً ، ولأنه موجود ومشاهد فعلا فى ذلك الوقت .

وهذا بناء على أن هذا القول إنما يقال لهم فى الجنة ، أما إذا كان هذا القول قد قيل لهم فى الدنيا بأن أعلم الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بذلك لتبشيرهم ورضاء الله عنهم ، فسيدفعهم هذا القول حتما

---

(١) تفسير أبى السعود ٩/٧٤

(٢) سورة الإنسان آية ٢٢

(٣) تفسير جزء تبارك للأستاذ المغربى ص ١٢٢

إلى مزيد من الطاعة ، وبذل النفس والنفيس فى سبيل الله ، وفى سائر وجوه البر ، وسيقتدى بهم غيرهم ممن يأتون بعدهم على مر العصور والأزمان .

وعلى هذا يكون اسم الإشارة القريب " هذا " إشارة إلى تعظيم ذلك النعيم الأخروى بتنزيله من القرب من النفس منزلة قرب المسافة .

وجملة : " إن هذا كان لكم ..... "

مقول قول محذوف ، أى يقال لأهل الجنة ، والحذف هنا للإيجاز والاختصار ، وللتفخيم والتعظيم من شأن ذلك القول وشأن قائله.

لهذا فصلت عما قبلها ولم تعطف عليها ، وقد عطفت جملة " كان سعيكم مشكورا " على جملة " إن هذا كان لكم جزاء " لاتحادهما فى الخبرية والمسند والمسند إليه فيهما واحد . ووجدت المناسبة بين الجملتين .

" وإقحام فعل " كان " للدلالة على تحقيق كونه جزاء لا منا عليهم بما لا يستحقوا ، فإن من تمام الإكرام عند الكرام أن يتبعوا كرامتهم بقول ينشط له المكرم ، ويزيل عنه ما يعرض من خجل ونحوه ، أى هو جزاء حقا لا مبالغة فى ذلك "

فانظر إلي القرآن الكريم ومدى بلاغته وروعته فى ملاحظة أدق الأشياء حتى الحالة النفسية التى هى من خصائص النفس البشرية لم يتركها النظم القرآنى بل راعاها فى كثير من آياته،فياله من كتاب معجز فمن نظر فى مفرداتها وجد أن جرسها أوحى بمعناها قبل أن يوحى مدلولها اللغوى عليه.

وعطف قوله "وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا " عما قبلها ليبين أنه على إيناسهم بأن ما أغدق عليهم كان جزاء لهم على ما فعلوا بأن سعيهم الذى كان النعيم جزاء عليه هو سعى مشكور.

وإسناد المشكور إلى السعى إسناد مجازى فهو مجاز عقلى فالسعى لا يكون مشكوراً ، وإنما يكون مشكورا ساعيه.

وننتقل إلى قوله تعالى :

" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا " (١)

تأكيد الخبر بـ " أن " للاهتمام به ، والخبر قد خرج من معناه الحقيقى إلى لازم معناه وهو التثبت والتأكيد.

والمتأمل فى هذه الآية يجد أن المولى عز وجل قد استهلها بـ " إنا " لا بـ " أني " والذى يستعرض أساليب القرآن فى نون التعظيم ونون الإفراد للمتكلم - كما يقتضيه الوضع - يجد أن الله عز وجل حين يتكلم عن شئ يتطلب إيجاده تكتل صفات من صفاته تعالى كقضية الخلق مثلا ، فلابد أن تتدخل صفة العلم والحكمة والقدرة ، نحو قوله تعالى " إن كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر " (٢)

وكقضية الموت والحياة مثل قوله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ " (٣)

وقوله " إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ " (٤)

فهذه الأشياء التى يتطلبها الفعل الذى يريد الله تعالى أن يتعرض له تتطلب صفات متعددة تتكاتف بجلالها وكمالها فى إيجاد ذلك الشئ على علم وحكمة وقدرة.

---

(١) سورة الإنسان آية ٢٣-٢٦

(٢) سورة القمر آية ٤٩ ، ٥٠

(٣) سورة يس آية ١٢

(٤) سورة مريم آية ٤٠

ومن ثم فحين يتكلم العظيم سبحانه عن شئ يتطلب تكتل الجلال أو صفات الكمال يقول " إنا " لكنه إذا تكلم عن ذاته ويريد من عبده أن يتوجه إليه يقول " إننى أنا الله لا إله إلا الله فاعبدنى " (١)

فالمتكلم حين يكون مفرداً ، فإنما يراد به وحده ألوهيته سبحانه ، ووحدة عبادة الإنسان لإله واحد ، وحين يريد الله الامتنان لوجود شئ يقول " إنا نحن نزلنا ..... " و " إنا كل شئ خلقناه بقدر " (٢)

وقيل أن " تأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل فى قوله " إنا نحن " لتقرير مدلول الضمير تأكيداً لفظياً للتنبيه على عظمة ذلك الضمير ليقضى به إلى زيادة الاهتمام بالخبر ، إذ يتقرر أنه فعْل (٣) مَنْ ذلك الضميران له ، لأنه لا يفعل إلا فعلا منوطا بحكمه ، وأقصى الصواب .

هذا " وتكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لـ " إن " تأكيدا على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أى وجه نزل إلا لحكمة وصوابا ، كأنه قيل : ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غير ، وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعى الحكمة ، وقد وعتنى حكمة بالغة إلى أن انزل عليك الأمر بالمكافأة والمصابرة ، وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين " (٤)

فتكرير الضمير حينئذ لتأكيد أمر هذا القرآن ، وأنه من عند الله ، ولابد فيه لمحمد – صلى الله عليه وسلم – وذلك رد على المشركين الذين

---

(١) سورة طه آية ٤

(٢) سورة القمر آية ٤٩

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٤٠٢

(٤) الكشاف للزمخشرى ٤/٦٧٤ – دار الكتاب العربى ، وأنظر غرائب القرآن للنيسايورى ٢٩/١٥٨ ، حاشية الشهاب ٨/٢٩٢

زعموا أنه – عليه السلام – اقترفه وتقوله ، أو أنه شعر شاعر ، أو كهانة كاهن ، أو أساطير الأولين ، فجاء هذا التأكيد ليلقمهم حجراً فى أفواههم ، ويؤكد أنه منزل من قبل مالك الملك سبحانه .

واجتماع مؤكدين الضمير المنفصل أولا ، ثم الضمير المتصل يفيد القصر إذا ليس القصر إلا تأكيدا على تأكيد ، والمعنى : ما نزل عليك القرآن إلا أنا ، وهو قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا لقلب اعتقاد من يعتقد أنه جاء به من عند ياته .

وعبر بـ " نزل " بصيغة التضعيف للإشارة إلى أن نزول القرآن على النبى – صلى الله عليه وسلم – كان منجماً ، ولم يكن دفعة واحدة .

فتكرير عين الفعل دال على تكرير فعل الإنزال .

وعبر بحرف الجر فى قوله " عليك " دون " إلى " ليفيد قوة التمكين رأساً من المنزل على المنزل عليه ، أما الحرف إلى فيفيد مطلق وصول النازل .

" وفيه نوع من المبالغة من قبل إيقاع الضمير اسماً لأن ثم تكريره ، ومن حقه ذكر المصدر بعد الفعل ، ومن جهة لفظ التنزيل دون الانزال لأن تنزيل القرآن منجما مفرقا أقرب إلى تسلية النبى – صلى الله عليه وسلم – وتثبيت فؤاده " (١)

" ووجه اتصال هذه الآية بما قيلها أنه لما ذكر سبحانه بأصناف الوعيد ، بين أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس خاصة إليه فليس بسحر وكهانة ولا شعرو أنه حق " (٢)

---

(١) غرائب القرآن ١٢٨/٢٩

(٢) القرطبى ١٤٨/١٩/١٠-١٤٩

وهكذا نرى روعة النظم القرآنى ودقته فى استعمال ألفاظه وبلاغته فى عرض معانيه ، فهو يريد تثبيت قلبه الشريف - صلى الله عليه وسلم - وشرح صوره ، وبيان أن الذى نزل عليه ليس بكهانة ولا سحر .

يقول الرافعى مشيداً بأسلوب القرآن فى انتقاء ألفاظه ووضعها موضعها المناسب " نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة ، وما قد يشبه أن يكون على هذا النحو الذى تمكنت به مفردات النظام الشمسى ، وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة ، بحيث لو نزعت منه كلمة ، أو أزيلت عن وجهها ثم أدير لسان العرب كله على احسن منها فى تأليفها وموقعها وسدادها لم يتهيأ ذلك ، ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة (١)

وبعد هذا التأكيد للمصدر الأساسى الذى يستمد منه الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعوته ، أمره الله سبحانه أن يصبر ويتحمل الأذى من المشركين ، حتى يحكم الله بينه وبينهم وهو خير الحاكمين.

وقد جاء الأمر فى قوله " فأصبر " تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمراد منه طلب المداومة على الصبر ، وتلقى الشدائد بالرضا والتسليم ، والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك.

وقد جاء بعد الأمر بأسلوب إنشائى آخر وهو النهى فى قوله " ولا تطع منهم آثما أو كفورا " وفى هذا النهى تأكيد للأمر بالصبر لأن النهى عنه يشمل كل ما يرفع موجبات الصبر المراد هنا.

وفائدة ورود النهى بعد الأمر أن " الأول أمر بالمأمورات والثانى نهى عن المنهيات ، ودلالة أحدهما على الآخر بالالتزام لا بالتصريح فيكون التصريح به مفيدا " (٢)

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٥٤

(٢) الفخر الرازى ٢٥٧/٢٩/١٥ وما بعدها

وعلى هذا لا يوجد فى الكلام تكرار.

وهذا النهى ليس موجها إليه - صلى الله عليه وسلم - لأنه يتصور فيه أن يطيعهم فى أباطيلهم ، أو يجاريهم فى عاداتهم الهابطة بل المقصود من النهى بيان حاجة الناس إلى الارشاد المتواصل ، حيث أن طبيعتهم المجبولين عليها مركبة من شهوات كثيرة فهناك الشهوة إلى المال والبنين ..... إلى غير ذلك من الشهوات التى تدعوا بطبيعة الحال إلى السهو والغفلة عن ذلكر الله ، بل ربما جرت عشاقها إلى الفساد أن جعلوها أكبر همهم وغاية قصدهم .

ومن ثم فقد جاء النهى موجها إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - لبيان أنه لو كان أحد من البشر فى غنى عن توفيق الله تعالى وإرشاد لكان أولى الناس بذلك أشرف الخلق على الله ، والمعصوم من كل خطأ - صلى الله عليه وسلم ([1])

والمقصود من هذا النهى تيئيسهم من استجابته لهم حين يقرأ عليهم هذه الآيه ، لأنهم يحسبون أن ما عرضوه عليه يكون صارفا له عن الدعوة فهم بعداء عن ماهية الدعوة ونزاهة الرسول.

وفى قوله " ولا تطع منهم آثما أو كفورا " خروج عن مقتضى الظاهر ، ومقتضى الظاهر أن يقول ، ولا تطعهم ، أو ولا تطع منهم أحد ، إلا أنه عدل عنه إلى هذين الوصفين للإشارة إلى أن طاعتهم تؤدى إلى ارتكاب إثم أو كفر ، فهم كانوا يأمرونه وينهونه غالبا فيما يلائم صفاتهم.

وأتى بـ " أو " دون " الواو " لأن " أو " لأحد الشيئين وللتسوية بينهما كقولك فى الأمر / جالس الحسن أو ابن سيرين ، كان المعنى جالس أحدهما ، بمعنى : ابحتك مجالسة هذا الضرب من الناس .

([1]) تفسير الخطيب الشربينى ٤/٤٤١

والنهى فى هذا كالأمر ، فإذا قلت ناهيا إنساناً لا تكلم زيداً وعمراً كان التقدير لا تكلم أحدهما ، والأحد عام لكل واحد منهما ، وعليه فالمعنى " ولا تطع كل واحد من مرتكب الإثم الداعى لك إليه ، ومن المغالى فى الكفر الداعى إليه ، فـ ' أو ' هنا للإباحة وللدلالة على أنهما سببان فى استحقاق عصيان المخاطب الداعى إليهما " (١)

و " أو " هنا آكد من " الواو " لأنها تفيد النهى المطلق من إطاعة أى من الآثم أو " الكفور ' بخلاف " الواو " فإنها لا تعطى هذا المعنى ، فإذا قلنا لا تطع آثما ولا تطع كفورا ، لا نقلب المعنى ، لأنه حينئذ لا تحرم طاعة كليهما.

وقيل أتت " أو " لتبين النوع أى لا تطع هذا الضرب ، وقال بعضهم أن أو بمعنى " ولا " كأنه قال " ولا كفورا " وقال بعضهم بمعنى " الواو " كأنه قال " ولا تطع فيهم آثما وكفورا . (٢)

" والآثم هو المنافق ، والكفور مشركوا العرب ، أمره بالصبر على التكاليف مطلقا ثم قسمهما إلى نهى وأمر على هذا الترتيب لأن التحلية مقدمة على التحلية أما النهى فقد مر ، وأما الأمر فأوله ذكر الله ولا سيما فى الصلاة أول النهار وآخره " (٣)

وفى النظم الكريم حسن تقسيم أضفى على المعنى حسناً وبهاء ،وزاده شرفا وجمالاً حيث قسم الكافرون إلى صنفين آثم وكفور ، مع أنهم كافرون جميعاً باعتبار ما كانوا يدعون النبى - صلى الله عليه وسلم - من الإثم والكفر لا باعتبار أنقسامهم فى أنفسهم إلى آثم وكفور .

---

(١) روح البيان للشيخ إسماعيل حقى ٢٧٧/١٠ يتصرف وانظر القرطبى ١٤٩/١٩/١٠

(٢) الأزهية فى علم الحروف ص ١١٢ ، ١٢٠

(٣) غرائب القرآن ١٢٩/٢٩

هذا وقد عطف النظم القرآنى جملة " ولا تطع " على جملة " فأصبر لحكم ربك كذلك عطف عليهما جملتى " وأذكر اسم ربك . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا " لاتحاد الجمل جميعها فى الانشائية . والمخاطب فيهما واحد وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالصبر على الأذى ونهاه عن طاعة من أثم من الكافرين أو كفر ، بين ما يعينه على الصبر فقال :

" وَأذكُرِ اسمَ رَبِّكَ بُكرَةً وَأَصِيلاً . ومِنَ اللَّيلِ فَاسجُد لَهُ وسَبِّحهُ لَيلاً طَوِيلاً " (١)

والأمر فى الآيتين قد خرج من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى وهو طلب المداومة ، على ذكر الله وتنزيهه وتقديسه . أى داوم على ذكره فى جميع الاوقات أودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل ينتظمها .

وقدم الظرف فى قوله " ومن الليل ، على المظروف وهو " فاسجد للاهتمام والاعتناء بشأن الصلاة فى ذلك الوقت بالتحديد ، لأن قيام الليل شاق وصعب على النفس ، وأفضل الأعمال وازكاها ما كان كذلك ، خاصة وأن العابد فى ليله القائم فيه لربه لا يطلع عليه أحد إلا الله ، ومن ثم فهو غير مراد ، لذلك قدم الظرف للاهتمام بشأن الصلاة ورفعتها ، وشأن هذا الوقت المختار لها.

وإذا ما تأملنا قوله " وسبحه ليلا طويلا " نجد أن طويلا صفة لمصدر محذوف دل عليه قوله : سبحه أى تسبيحا طويلا فى وقت من الليل وفى هذا الحذف إيجاز وبلاغة لا تخفى .

---

(١) سورة الإنسان آية ٢٥ ، ٢٦

وذكر اسم الرب ، يشمل تبليغ الدعوة ، ويشمل عبادة الله فى الصلوات المفروضة والنوافل ويشمل الموعظة بتخويف عقابه ورجاء ثوابه.

وقد أضاف النظم الكريم لفظ " الرب " إلى ضمير الخطاب " الكاف " وهو خطاب للرسول تشريفا وتكريما له عليه السلام - ورفع لشأنه ، واشعارا بالعناية الإلهية التى تلازمه فى كل مكان.

وفى قوله : فسبحه ليلا طويلا وقفة لابد منها .

معظم البلاغيين رد بهذه الآية على أن الجمع بين الحاء والهاء لا يخرج الكلمة من فصاحتها واستشهدوا بقول أبى تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى .·. معى وإذا ما لمته لمته وحدى.

وهذا خطأ من ظن أنه يبرئ القرآن الكريم من العيوب المخلة بالفصاحة شجبه لما قرره علماء البلاغة ، وقياس فى غير محله فالفرق واضح بين الآية والشعر وهو أن تكرار أمدحه هو الذى أخرجه عن الفصاحة لا مجرد اجتماع الحاء والهاء وهما من مخرج واحد ولهذا قيل " إن منشأ الثقل هو تكراراً مدحه دون مجرد الجمع لوقوعه بين الحاء والهاء فى التنزيل نحو "فسبحه" (١)

هذا ، وللمكانة السامية للتسبيح فقد استوفى الله مادته بجميع صورها . قال الإمام النسفى ' جاء فى بعض الفواتح بلفظ الماضى ، وفى بعضها بلفظ المضارع ، وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر ، وفى الأعلى بلفظ الأمر ، استيفاء لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع : المصدر والماضى والمضارع والأمر " (٢)

---

(١) حاشية الشيخ مخلوف المنياوى على شرح الشيخ أحمد الدمنهورى لمتن الإمام الخضرى.

(٢) تفسير النسفى ٢٢٢/٤ - ط الحلبى.

وبعد هذا يبين القرآن الكريم للنبى - صلى الله عليه وسلم - منهج أولئك المعاندين الذين ارتضوه لأنفسهم ، والذى كان السبب فى مناهضة المنهج الربانى الذى أرتضاه الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم ، وأمره بأن يدعوهم إليه ، فيقول : إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ، نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ، وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا "

الآيات خبر خرج من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى وهو التهديد والوعيد .

وقد جاءت هذه الجملة مؤكدة بأن لتأكيد مضمون الكلام وتقريره فى نفوس السامعين ، وقد خرج الخبر فيها من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى وهو التوبيخ والتقريع ، والتحقير لأهل مكة .

وعبر باسم الإشارة " هؤلاء " المفيد للقرب ، لأن المقصود بذلك احتقارهم وتهوين شأنهم مهما علا قدرهم بين أقرانهم وظهرت عليهم سمات الكبر والعظمة ، فهم أصحاب نفوس هاوية ، وأفعال ساقطة ، وعقول مغلقة ، حيث أنهم لا يرون الهدى بأعينهم متمثلا فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم ومع ذلك آثروا دنياهم الفانية على الآخرة الباقية .

وعبر بقوله : "يحبون" الدال على مدى شغفهم بهذه الدنيا الزائلة ، ومدى تمكن رغبتهم فيها فى نفوسهم ، فكلمة " يحبون " صورت ذلك المعنى أدق تصوير .

والعجلة : طلب الشئ وتحريكه قبل أوانه ، وهو مقتضى الشهوة ، فلذلك صارت مذمومة فى عامة القرآن (١)

فهؤلاء قوم قصار النظر ، صغار المطالب ، قريبو الاهتمامات حيث قصروا كل أعمالهم وحصروها فى حب الدنيا وشهواتها ، ومن ثم فهم لا يطاعون فى شئ ، ولا يؤتمنون فى دعوة ، ولا يلتقون مع المؤمنين فى

---

(١) مفردات القرآن للراغب ٣٣٤ ، ٣٣٥

هدف ولا غاية ، ولا يعتد لما بين أيديهم ، لأنهم لا يعيشون لحظات . وبعدها يأتى اليوم الثقيل الذى ينتظرهم بأهواله وخطوبه ولحظتها يقولون :

يا ويلنا : ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ' (١)

وصيغة المضارع فى " يحبون " تدل على تكرر ذلك ، أى أن ذلك دأبهم وديدنهم لا يشاركون مع حب العاجلة حب الآخرة .

كما أن صيغة المضارع فى " يذرون " تقتضى أنهم مستمرون على ذلك ، وأن ذلك متجدد فيهم ومتكرر لا يتخلفون عن ذلك الترك ، لأنهم لا يؤمنون بحلول ذلك اليوم .

ومتعلق " يحبون " مضاف محذوف تقديره : نعيم أو منافع لأن الحب لا يتعلق بذات الدنيا

كما أن العاجلة صفة لموصوف محذوف تقديره : الحياة العاجلة ، أو الدار العاجلة أو مدة الحياة الدنيا .

والحذف هنا للإيجاز ، ولأنه معلوم من سياق الكلام .

" وفى إيثار ذكر الدنيا بوصف العاجلة توطئة للمقصود من الذم لأن وصف العاجلة يؤذن بأنهم آثروها لأنها عاجلة ، وفى ذلك تعريض بتحميقهم إذ رضوا بالدون لأنه عاجل ، وليس ذلك من شيم أهل التبصر ، فقوله ' ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ' واقع موقع التكميل لمناط ذمهم وتحميقهم لأنهم لو أحبوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين " (٢)

ثم بعد ذلك التهديد باليوم الثقيل يقول : " نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ، إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً وَمَا

---

(١) سورة القصص آية ٨

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/٤٠٨ .

تشاؤون إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما " (١)

عبر بضمير المتكلمين نحن ليفيد التخصيص أى نحن لا غيرنا الذين خلقناهم وشددنا خلقهم ، فكان الواجب عليهم شكرنا لا جحود نعمنا والتنكر لجميل فضلنا وحسن رعايتنا لهم وهم أجنة فى بطون أمهاتهم ثم فى جميع مراحل حياتهم التى مروا بها ويمرون ، فكانوا أشداء منصوبى الخلق مجدولى البدن ، محكمى التكوين .

وجئ بإذا لتحقيق بعثهم فى يوم معلوم لله عز وجل ، مبهم للناس والآية خبر خرج من معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى وهو الامتنان (٢)

والآية بمثابة إقامة الدليل الناصع والحجة القوية على إمكان البعث لأن من فعل الفعل مرة قادر على فعله مرة أخرى .

فافتتاح الجملة بالمبتدأ " نحن " المخبر عنه بالخبر الفعلى دون أن تفتح بـ " خلقناهم " أو " نحن الخالقون " لإفادة تقوى الخبر وتحقيقه بالنظر إلى المعنيين بهذا الكلام.

وتقوية الحكم بناء على تنزيل أولئك المخلوقين منزلة من يشك فى أن الله خلقهم حيث لم يحرؤوا على موجب العلم ، فأنكروا أن الله يعيد الخلق بعد البلى ، فكأنهم يسندون الخلق الأول لغيره ، وتقوى الحكم يترتب عليه أنه إذا شاء بدل أمثالهم بإعادة أجسادهم فلذلك لم يُحتج إلى تأكيد جملة " وإذا شئنا بدلنا أمثالهم " استغناء بتولد معناها على معنى التى قبلها ، وإن كان هو أولى بالتقوية على مقتضى الظاهر ، وهذا التقوى هنا مشعر بأن كلاما يعقبه هو مصب التقوى ' (٣)

---

(١) سورة الإنسان ٢٨ : ٣١.

(٢) مجمع البيان للطبرسى ١٠/ ٦٢٦

(٣) التحرير والتنوير ٢٩ / ٤٠٩

وحذف مفعول " شئنا " لدلالة جواب إذ عليه .

وأوثرت " إذا " هنا على " إن " لأن " إذا " تفيد اليقين بوقوع ما قيد بها أما " أن " فهى تشير إلى أن حصول هذه المشيئة مستغرب الوقوع .

كما حذف أيضا متعلق الفعل " بدلنا " لأن فعل " التبديل " يقتضى مبدلا ومبدلا منه ، ويصح أن يوضع أحدهما مكان الأخر ، لأن كل مبدل بشىء هو أيضا مبدل به ذلك الشئ ، ولا سيما إذا لم يكن فى المقام غرض بيان المرغوب فى إقتنائه والمسموح ببذله من الشيئين المستبدلين ، فحذف من الكل متعلق ' وبدلنا ' وهو المجرور بالباء لأنه أولى بالحذف وأبقى المفعول (١)

" والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حيث قابلوها بالمعصية ، أى سويت خلقك وأحكمته بالقوى ثم أنت تكفر بى" (٢)

وفى قوله " إن هذه تذكرة ..... "

جاءت هذه الآية مؤكدة بـ " إن " لأن حال المخاطبين عدم اهتمامهم بها فهم ينكرون أنها تذكرة .

واسم الإشارة المؤنث يرجع إلى الآيات المتقدمة أو إلى السورة وأضاف لفظ " رب " إلى الضمير الغائب وفى ذلك تكريم لمن اتخذ الأسباب الموصلة إلى طريق الله ، ورفع لشأنه وإشعاراً بالعناية الإلهية له ، والرحمة به.

إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٣) .

الإشارة راجعة إلى السورة وما اشتملت عليه من اللفظ الرقيق فى الأسلوب الأنيق ، والمعنى الدقيق فى الخطاب الرقيق ، والوعد والوعيد

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٤١٠

(٢) القرطبى ١٠ / ١٩ / ١٥٢

(٣) سورة الإنسان آية ٢٩

والترغيب والترهيب تذكرة للمتأملين وتبصرة للمتبصرين فمن شاء من هؤلاء اللاهين المعرضين عن الحق يعد ما تبين اتحاد الإيمان والطاعة ، وتصديق النبى – صلى الله عليه وسلم – سبيلا يوصله إلى رضاء الله ودخول جناته ، فليفعل بالعزم الأكيد والنية الخالصة ، حيث أنه سبحانه قد منحه الهداية والتذكير والدلالة على الخير فى هذه السورة وجميع سور القرآن مع ما حباه به سبحانه من نور العقل الذى عن طريقه يدرك ما يضره وما ينفعه وما أكرمه به من إرسال محمد – صلى الله عليه وسلم – الذى بين له الحق من الباطل والضار من النافع .

" وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا " (١)

فى الآية أسلوب قصر ، وهو من الأساليب البلاغية الجميلة التى يقتضيها المقام ويدعوا إليها حال المخاطب ، حيث قصر المشيئة والطاعة على مشيئة الله ، وقد أفاد القصر تأكيد هذه الحقيقة .

ومن ثم فقد جاء قوله تعالى " إن الله كان عليما حكيما " لتقرير هذه الحقيقة من أن الإنسان مهما جد فى عبادته وطاعته وأمتثال أمر ربه لا يستطيع أن يفعل ذلك مجرداً من مشيئة الله وقدرته سبحانه بل لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعاً أو يرد عنها خيرا لعلمه النافذ وحكمته البالغة .

فهو عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ، ويقبض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى " إن الله كان عليما حكيا " (٢)

ومفعول المشيئة محذوف تقديره " شيئا " أى وما تشاؤون اتخاذ السبيل إلا وقت مشيئة الله تعالى لمشيئتكم .

---

(١) سورة الإنسان آية ٣٠

(٢) تفسير ابن كثير ط الشعب ٥٩ / ٣١٩

وحذف المفعول هنا : لتذهب النفس فى تقديره كل مذهب أى ما تشاؤون شيئا فى وقت من الأوقات أو فى حال من الأحوال فالحذف لإفادة العموم

وجملة : إن الله كان عليما حكيما " تذييل أو تعليل لجمله " يدخل من يشاء " أى أنه واجب له العلم والحكمة فهو أعلم ، فمن شاء أن يدخله فى رحمته ، ومن شاء أبعده عنه .

والتذييل لون من ألوان الاطناب ، وقد جاء فى الكلام مؤكداً لتقرير مضمون الحكم ، وتأكيده فى ذهن السامع.

هذا وقد عطف جملة " وما تشاءون " على جملة " إن هذه تذكرة " لاتحادهما فى الخبرية ، ولوجود صلة فى المعنى بين الجملتين .

وفى قوله : " إن الله عليما حكيما " إظهار فى موضع الإضمار حيث وضع الاسم الظاهر " الله " فى النظم الكريم موضع الضمير إذا يصح أن يقال فى غير القرآن " وهو عليم حكيم " لإدخال الروع وتربية المهابة فى نفوس السامعين ، ولقصد إظهار تعظيمه جل شأنه ، فهو عليم ببواطن الأمور وظواهرها ، كما أنه حكيم يضع الامور فى نصابها .

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١)

" فهى المشيئة المطلقة تتصرف بما تريد ، ومن إرادتها أن يدخل فى رحمته من يشاء ممن يلتجئون إليه ، يطلبون عونه على الطاعة ، وتوفيقه إلى الهدى .

والظالمين أعد لهم عذابا أليما : وقد أملى لهم وأمهلهم لينتبهو إلى هذا العذاب الاليم.

وهذا الختام يلتئم مع المطلع ويصور نهاية الابتلاء الذى خلق الله له الإنسان من نطفة أمشاج ، ووهبه السمع والإبصار ، وهداه السبيل إما إلى جنة وإما إلى نار " (٢)

---

(١) سورة الإنسان آية ٣١

والآية مستأنفة استئنافاً بيانيا ناشئا عن جملة " وما تشاءون إلا أن يشاء الله " إذ يتساءل السامع على أثر مشيئة الله فى حال " من اتخذ إلى ربه سبيلا " ومن لم يتخذ إليه سبيلا ، فيجاب بأنه يدخل فى رحمته من شاء أن يتخذ إليه سبيلا ، وأنه أعد لمن لم يتخذ إليه سبيلا عذابا أليما وأولئك هم الظالمون .

هذا وقد عطفت جملة ، " والظالمين أعد لهم عذابا أليما " على جملة " يدخل من يشاء فى رحمته " لقصد مشاركتها لها فى الحكم الاعرابى فالجملة الأولى حال ، والقصد تشريك الجملة الثانية لها فى هذا الحكم الإعرابى.

وقد عرف " الظالمين " بـ " اللام " ليفيد العموم ، أى أعد لكل الظالمين عذاباً أليما .

" والظالمين : منصوب بإضمار فعل محذوف تقديره : يعذب الظالمين ، قال الزجاج : نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب ، أى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين أى المشركين" (١)

وفى قوله :" عذاب أليم " مجاز عقلى علاقته المفعولية ، والقرينة أن العذاب لا يكون أليما وإنما يكون مؤلما ، وفى هذا مبالغة فى الوعيد الذى أعده الله للكفار .

ووصف العذاب بـ " الأليم " على صيغة فعيل ولم يقل مؤلما للدلالة على المبالغة فى ألم هذا العذاب ، حتى أن العذاب نفسه يشعر بهذا الألم .

وأضاف الرحمة إلى الضمير الراجع إلى المولى سبحانه وتعالى فى قوله " رحمته " إشارة إلى سعة هذه الرحمة وعظمتها ،فهى رحمة أرحم الراحمين .

---

(٢) فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٢٩/ ٣٧٨٧

(١) القرطبى ١٠ / ١٩ / ١٥٣

الفصل الثانى

التصوير البيانى فى السورة الكريمة

وقد جاء فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

التشـــــبيه

المبحث الثانى :

المجاز اللغوى بنوعيه "الاستعارة والمجاز المرسل "

المبحث الثالث :

الكنـــــايـة

الفصل الثانى

التصوير البيانى

المبحث الأول : التشبيه :

وقد جاءت الصورة البيانيـة فـى سـورة الإنسـان فـى غايـة الوضـوح والجمال .

وقد جاء منها التشبيه الرائع والمجاز الواضح والكناية البليغة .

وقد كان التشبيه فى سورة الإنسان وسيلة من وسائل البيـان ، وأداة من أدوات التعبير الواضح التى تدنى القصى ، وتكسب المعانى رفعة وجمالا.

وتتمثل بلاغة التشبيه فى روعته ودقته فى تصويره للمعنى ، كما أن لفن التشبيه أثرا بليغاً فى جذب النفوس إلى معنى الجملة والتأمل لمـا حوتـه من معان فهو وسيلة من الوسائل الفنية التى توضح الصورة ، وتنقل معناها إلى المتلقى بوضوح .

فالتشبيه " بحر البلاغة " وسر لبابها ، وإنسان مقلتها " (١) وهو من أشرف كلام العرب.

نقرأ قولـه تعـالى : ويطـاف عليهـم بآنيـة مـن فضـة وأكـواب كـانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا (٢)

شبه آنية الفضة بالقوارير فى شفافيتها ونقائها والتشبيه القرآنـى لا يعنى بنفاسه المشبه به ، وإنما العناية كلها باقتراب الصورتين فى النفس ، وشدة وضوحها وعظيم أثرها .

---

(١) الطراز المتضمن لأمرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ٣٢٦/١ بيروت - لبنان - ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

(٢) سورة الإنسان آية ١٥،١٦

يقول ابن ناقيا البغدادى : يعنى أنها كالقوارير فى صفائها وشفافيتها ورقيقها ، وهى فضة فهذا على التشبيه ، وإن لم يذكر حروفه ، وحذف حرف التشبيه للمبالغة فى وصف المشبه ، وقد وصف الله الآنية والأكواب لأن ذلك يؤول إلى مدح الشراب ، ويدل على نفاسته وشرفه " (١)

ثم المتأمل للآية الكريمة يجد أن الجمال يطالعنا من بداية العبارة من تنكير وتكرير وتشبيه.

جمال فى هذا التعاطف بين الألفاظ يصور لنا التعاطف فى المعانى " فالتشبيه " هنا يجرى فى تدفق وانسياب كماء البحر فى تدفقه وانسيابه أو أن جريه لا ينفذ كما لا ينفذ ماء البحر " (٢)

وفى قوله " كان مزاجها كافورا " نرى أن كان دلت على أن الكافور الثمين الذى كان من شأن أهل الترف ، مزاجها لا يفارقها ، إذ كان معتاد الناس فى الدنيا ندرة ذلك المزاج لغلاء ثمنه.

" وقد كانت الخمر عند العرب من أنفس الأشياء لديهم ، وأحظاها فى نفوسهم وأنعمها لعيشتهم ، وأجمعها للذتهم ، وكانوا يفخرون بمخالطة حاناتها . لذلك جاء التشبيه فى الآية للتقريب لهم فى أذهانهم مع الفارق فهى فى لذتها وبردها وطيب مذاقها كالكافور والزنجبيل ، وأنها لا لغو فيها ولا تأثيم " (٣)

وفى قوله " يشربون من كأس " مجاز مرسل إذا كان المراد بالكأس الخمر ، يقول ابن قيم الجوزية " وهذا نظرا منهم إلى المعنى المقصود فإن

---

(١) الجمان فى تشبيهات القرآن تحقيق د/ مصطفى الصاوى الجوينى ص ٣٣٠ - منشأة المعارف

(٢) البلاغة وقضايا المشترك اللفظى د/ عبد الواحد حسن الشيخ ص ٥٠ - مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢م.

(٣) الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادى ص ٣٣٥

المقصود ما فى الكأس لا الإناء نفسه ، وأيضا فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس . فإن النهر اسما للماء ولمحله معاً ، ولكل منهما على انفراد ، وكذلك الكأس والقربة " (١)

ففى الكلام مجاز مرسل حيث ذكر المحل وهو الكأس وأراد الحال فيه وهو الخمر.

وفى قوله " إنما نطعمكم لوجه الله .... " (٢)

الوجه فى الحقيقة الجارحة ، وقد جاء هنا مجازاً عن الرضا والثواب أو الذات العلية.

" إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا " (٣)

وجاء النظم الكريم على صورة الخطاب ، ليبعث الشوق فى نفوس المخاطبين إلى مشاهدة تلك الأحوال ، علهم يعملون عمل أولئك الأبرار فيفوزون فوزهم بالنظر إلى الولدان ، والتمتع بما فى الجنان .

وشبهوا بالدر المنثور للدلالة على أنهم غلمان حسنة وجوههم صافية ألوانهم ، نشيطة ابدانهم ، لا يتوانون فى خدمة أهل الجنة أو يتكاسلون .

أضف إلى ذلك أن اللؤلؤ إذا كان مفرقاً على الأمكنة البهية يكون أحسن منظراً ، لوقوع شعاع بعضه على بعض ، فيكون مخالفاً للمجتمع منه قال الرازى فى كيفية التشبيه وجوه :

الأول : " أنه سبحانه شبههم فى حسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم فى حالهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ، ولو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم لأن الله يقول " ويطوف عليهم ' وهذا يفيد أنهم متناثرون.

---

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٥٩ لابن قيم الجوزية

(٢) سورة الإنسان آية ٩

(٣) سورة الإنسان آية ١٩

الثانى : أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن مقطراً وأكثر ماء .

الثالث : قال القاضى هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن فى النظر لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفاً للمجتمع منه " (١).

فالتشبيه هنا قيد فيه المشبه بحال خاص ، لأنهم شبهوا به فى حسن المنظر مع التفرق.

فالتشبيه القرآنى يمتاز بالدقة فى اختيار ألفاظه المعبرة الموصية وتصوير المعانى تصويرا قويا مؤثرا يملك القلب ، ويأسر اللب ، إلى جانب تأثيره فى العاطفة تأثيرا قوياً موحياً .

فالتشبيه القرآنى من أسرار الإعجاز ، وقد عده الرمانى من أقسام البلاغة التى هى أحد وجوه الإعجاز (٢)

كما أن التشبيهات القرآنية رائعة لها خصائص اتسمت بها ، فهى خالدة خلود الدهر ، باقية بقاء الإنسان " (٣)

وعندما نقرأ قوله تعالى"وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا "(٤)

نرى أن فى قوله : " ملكا كبيرا " تشبيه بليغ ، أى إذا نظرت رأيت مثل أحوال الملك الكبير المتنعم به .

وقد جاء هذا التشبيه لتقريب المشبه لمدارك العقول .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٨/ ٣٠٠

(٢) النكت فى إعجاز القرآن ص ٧٦

(٣) انظر المثل السائر لابن الاثير ، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى والاتقان فى علوم القرآن للسيوطى والحمان فى تشبيهات القرأن لابن ناقيا البغدادى وغيرهم .

(٤) سورة الإنسان آية ٢٠

والكبير مستعار للعظيم . من عظم الحجم لسعة المسافة . وهو زائد على العظيم بما فيه من رفعة وتذليل للمصاعب . وهنا من استعارة الشئ الحسى للشئ المعنوى لتقريبه فى الأذهان .

فالصور البيانية التى تأتى فى النظم القرآنى تتضح فيها الحقائق الظاهرة كأنها أمور محسوسة مرئية .

المبحث الثانى

المجاز اللغوى

أ - الاستعارة :

ومن الصور البيانية التى وردت فى سورة الإنسان الاستعارة وهى لون من ألوان التصوير المعجز الذى يعتمد على الايجاز الموجز الذى يكشف عن معانيه ، ويوضح مراميه ، وهى تنقل المعنى وتجسمه فى صورة حسية ملموسة ، وهذا يبرز جمالها وروعتها .

كما أنها تبرز البيان فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً وتوجب له بعد الفضل فضلا ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة،قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف متعدد، وفضيلة مرموقة، وخلا به موفقة، ومن خصائصها التى تذكر وهى عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ (١)

ومن الصور البيانية الرائعة التى وردت فى السورة : الاستعارة فى قوله : " نبتليه " أى خلقناه مبتلين له ، بمعنى مريدين ابتلاءه ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال ، فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة لأن المنقول يظهر فى كل طور ظهورا آخر لظهور نتيجة الابتلاء والامتحان بعده " (٢)

أى يعاملكم معاملة من يمتحن ، ليبين شكركم أو كفركم ، ففى الكلام استعارة ، وإلا فالامتحان محال على الله تعالى .

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمد رشيد رضا ص ٣٢ ، ٣٣ دار المعرفة - بيروت

(٢) الكشاف للزمخشرى ٦٦٦/٤ ، تفسير أبى السعود ٧٠/٩ - دار إحياء التراث العربى

فقد شبه سبحانه وتعالى نقل الإنسان من طور إلى طور فى بطن أمه ، وجعله ذا صفات متباينة ، وإختباره بالتكليف بعد ذلك ، فيما أوجبه الله من شرائع السماء وتعاليمها على أيدى الرسل بالابتلاء بجامع بيان قوة إيمان المؤمن ، ومدى مثابرته وجهده فى سبيل تحقيق رضا الله بالشكر والحمد على كل حال ، وبيان أن الله لن يضيعه بل سيزيده من فضله ، ويخلع عليه خلع الرضوان .

والاستعارة هنا تصريحية تبعية حيث اشتق من الابتلاء نبتليه بمعنى نختبره ، للإشعار بأن الطاعة لها جزاء جزيل وعليها من الله رضا عميم ، وبأن المعصية عليها عقاب وبيل وعذاب أليم ، والانسان فى ذلك حر طليق إن شاء تنكب القصد أو ضل عن سواء السبيل .

وقيل أن الابتلاء هنا " كناية عن التكليف بأمر عظيم لأن الأمر العظيم يظهر تفاوت المكلفين به فى الوفاء بإقامته " (١)

كما أن فى النظم السابق لون آخر من ألوان البيان وهو الكناية فى قوله : " سميعاً بصيرا " وهما كنايتان عن الفهم والتمييز إذ آلتهما سبب لذلك" (٢)

فعندما تقرأ قوله تعالى : " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ (٣)

نجد أن فى قوله " هديناه السبيل " استعارة تمثيلية لحال المرشد.

" والسبيل : الطريق الجادة إلى ما فيه النفع بواسطة الرسل إلى العقائد الصحيحة ، والأعمال الصحيحة التى هى سبب فوزه بالنعيم الأبدى .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٣٧٥ حاشية الشهاب ٨/٢٨١

(٢) البحر المحيط ٨/٣٩٢

(٣) سورة الإنسان آية ٣

وقد شبه ذلك - بحال من يدل السائر على الطريق المؤدية إلى مقصده من سيره .

وهذا التمثيل ينحل إلى تشبيهات أجزاء الحالة المركبة المشبهة بأجزاء الحالة المشبه بها (١)

وإذا حللنا هذه الاستعارة التمثيلية المركبة إلى عدة أجزاء نجد أن الله تعالى هاد ، والانسان يشبه السائر المتحير فى الطريق، وأعمال الذين تشبه الطريق ، وفوز المتبع لهدى الله يشبه البلوغ إلى المكان المطلوب الذى من سار عليه فقد استدل على طريق الحق والصواب ومن نأى عنه ضل .

وأما من ناحية ترتيب الكلمات وعلاقة الاستعارة بالسابق عليها والتالى لها . فقد سبقت بـ " إن " وهو حرف توكيد ، فأصبح المعنى مؤكداً بأداته ، تليه " نا " الدالة على العظمة الإلهية ، يليه لفظ الهدى الذى هو محور المعنى وأساس التعبير.

وهذه الاستعارة أتت لتوضيح المعنى وتغطية أبعاداً نفسية وأخيلة تصويرية .

وهكذا نجد ألفاظ الاستعارة أنسب ما تكون لمعانيها مع التلاؤم فى الحروف ، تدل بحروفها وحركاتها على المعنى مع التلاحم بين سابقها ولاحقها ، مصورة للمعنى أكمل تصوير .

فألفاظها بارعة فى معنى شريف مع قوة تأثير وزيادة بيان .

ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ، فقد وصف السبيل بوصف سالكه للمبالغة والإيجاز فى الكلام.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٣٧٥

ومما أضفى على المعنى حسناً وزاده شرفا وبهاء الطباق بين " شاكر وكفورا " وهو طباق إيجاب بين اسمين ، جئ به لبيان الفرق بين الشاكر والكفور فى الأجر والثواب.

وبذلك فقد تضافرت ألفاظ الآية وتأزرت فى إيضاح المعنى الذى سيقت له فعرضته بأسلوب جميل رائع ، وعرض جذاب رائق وهذا من بلاغة النظم القرآنى .

تدبر قوله تعالى : " يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا " (١)

استعارة ، حيث شبه فتح الأرض عن الماء واستنباط الماء الغزير منها بالاستقاء منها بلا حد ونضوب . فكأن كل واحد يفجر لنفسه ينبوعاً يأخذ منه بكثرة وغزارة .

وتأكيد فعل التفجير ترشيح للاستعارة .

والاستعارة هنا صورت المعنى المجرد فى صورة حسيه ملموسة فأدى إلى إظهار المعنى وجلائه فى أذهان السامعين .

وفى قوله تعالى : " إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (٢)

قيل أن وصف اليوم بالعبوس استعارة حيث شبه اليوم الذى تحدث فيه حوادث تسوءهم ، برجل خالطهم يكون شرس الأخلاق ، عبوساً فى معاملته " (٣)

بجامع عدم الانطلاق والسواد والكلح فى كل .

يقول الفخر الرازى " وصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقتين ، أحدهما : أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم: نهارك صائم ، روى

---

(١) سورة الإنسان آية ٦

(٢) سورة الإنسان آية ٩

(٣) التحرير والتنوير ٣٨٦/٢٩

أن الكافر يجيش حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران ، والثانى أن يشبه فى شدته وضراوته بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل (١)

والغرض من هذا المجاز المبالغة فى تصوير هول ذلك اليوم ، وهذا العبس لكثرته وأثره على الوجوه تعدى إلى اليوم .

" نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢)

يقول القرطبى " الأسر : الخلق ، قال أبو عبيد : يقال فرس شديد الأسر أى الخلق ، ويقال : أسره الله جل ثناؤه إذا شدد خلقه، وقال أبو هريرة والحسن والربيع : شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب .

واشتقاقه من الإسار وهو القيد الذى يشد به الأقتتاب ، يقال أسرت القتب أسراً أى شددته وربطته ، ويقال : ما أحسن وأسر قتبه أى شده وربطه وفيه قوله :خذه بأسره إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله كأنهم أرادوا تعكيمة وشده لم يفتح ولم ينقص منه شئ ، ومنه الأسير ، لأنه كان يكتف بالأساور (٣)

فالأسر : الربط ، وقد أستعير هنا للإحكام والاتقان ، والمعنى : أحكمنا ربط أجزاء أجسامهم ، فكانت مشدوداً بعضها ببعض .

والاستعارة هنا استعارة تصريحية أصلية بينت المعنى المجرد فى صورة حسية ملموسة .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ١٥/٢٩/ ٢٤٧ - روح المعانى ١٥٦/٢٩ - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان

(٢) سورة الإنسان آية ٢٨ ، ٢٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٩/١٠

وقوله : إن هذه تذكرة ... " حث وتحريض فيه تعريض بالمشركين بأنهم أبوا أن يتذكروا عناداً وجسداً واتخاذ السبيل سلوكه.

وعبر عن السلوك بالاتخاذ على وجه الاستعارة بتشبيه السلوك بالأتخاذ بجامع المضى والاقدام فى كل ثم أشتق من الاتخاذ " أتخذ " على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فى المشتق

كما أن السبيل مستعار لسبب الفوز بالنعيم والزلفى ، وهذه السبيل هى التسوية ، فالتائب مثل الذى كان ضالاً أو آبقا فاهتدى إلى الطريق التى يرجع منها إلى مقصدة أو سلك الطريق إلى مولاه .

" فبلاغة الاستعارة من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسى التشبيه ، ويحملك عمداً على تخيل صور جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفى مستور " (١)

وفى قوله " إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا " (٢)

نرى أن فى قوله " يوما ثقيلا ، استعارة تصريحية ، فقد أستعير الثقل لشدة ذلك اليوم وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحامله .

وهذه الاستعارة كالتعليل لما أمر به ونهى عنه .

---

(١) جواهر البلاغة للهاشمى ٢٧٠

(٢) سورة الإنسان آية ٢٧

المجاز المرسل :

وهو " الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى (١)

وقد وردت منه صور فى سورة الأنسان فى قمة الإعجاز البلاغى .

من ذلك قوله تعالى " هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ " (٢)

يقول أبو حيان " الإنسان هنا جنس بنى أدم ، والحين الذى مر عليه إما حين عدمه، أو حين كونه نطفة وانتقاله من رتبة حتى حين إمكان خطابه ، فإنه فى تلك المدة لا ذكر له، وسمى إنساناً باعتبار ما صار إليه" (٣)

ففى اللفظ مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون حيث سمى الإنسان إنسانا باعتبار ما صار إليه .

وفى قوله " إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ (٤) مجاز مرسل إذا كان المراد بالكأس الخمر ، يقول ابن قيم الجوزية: " وهذا نظرا منهم إلى المعنى المقصود فإن المقصود باقى الكأس لا الإناء نفسه، وأيضا فإن من الأسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فإن النهر اسما للماء ولمحله معا،ولكل منهما على انفراده، وكذلك الكأس أو القربة(٥)

ففى الكلام مجاز مرسل حيث ذكر المحل وهو الكأس وأراد الحال فيه وهو الخمر.

---

(١) انظر شروح التلخيص ٢٢/٤ وما بعدها .

(٢) سورة الإنسان آية ٦

(٣) البحر المحيط ٣٩٢/٨

(٤) سورة الإنسان آية ٥

(٥) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزيه ص ٥٩

المبحث الثالث

الكنـــاية

من أجمل ألوان التصوير البيانى التى اشتملت عليها السورة الكريمة الكتابة ، وهى مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها من لطف طبعه وصفت قريحته والسر فى بلاغتها أنها فى صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية وفى طيها برهانها (١)

ويتمثل حُسن الكناية فى المبالغة فى الوصف ، لأن فى التعبير بالردف والتابع من القوة والحسن ماليس فى اللفظ الموضوع لذلك المعنى ، فإثبات الصفة مقرونة بدليلها أكد وأبلغ فى الدعوى من أن تثبت هكذا غفلا ، حيث إنه لا يذكر شاهد الصفة ودليلها إلا وهو مشتهر بحيث يكون بمنأى عن الشك والتجوز.

كما أن الكناية من صور البيان التى تبرز المعقول فى الصور المحسوسة ، وبذلك تنكشف عن معانيها ، وتحدث انفعال الاعجاب الذى يستعان على تحقيقه بهذه الوسائل .

والكناية القرآنية من أبلغ الكنايات وأجملها وأشدها علوقا بالنفس .

وقد جاءت الكناية فى سورة الإنسان ، وكانت فى غاية الروعة والجمال فقد جاءت لتأكيد المعنى وتصويره تصويرا واضحاً مصحوباً بالدليل مع تحسين المعنى وتجميله ، والمبالغة فى المعنى مع الإيجاز فى العبارة .

من ذلك الكناية فى قوله تعالى : " فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " (٢)

فالسمع والبصر كنايتان عن الفهم والتمييز إذا آلتهما سبب لذلك " (٣)

---

(١) جواهر البلاغة ص ٢٨٠

(٢) سورة الإنسان آية ٢

(٣) البحر المحيط ٣٩٢/٨

وهما من أشرف الحواس ، إذ تدرك بهما أعظم المدركات أى جعلناه بسبب الابتلاء حين تأهل سميعاً بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات .

وخصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها .

والقرآن الكريم أتى بأروع الكنايات وأعلاها طبقة فى البلاغة للدلالة على ألطف المعانى وأوجزها وأكدها ، وأكثرها تأثيراً فى النفوس ، وسحراً للأفئدة فى القلوب .

وبذلك نرى أن الآية السابقة اشتملت على كثير من الألوان البلاغية الجميلة الرائعة ، فمن تأكيد وتعريف وتنكير وتقديم واستعارة وكناية .

حتى بدت كاللوحة الجميلة التى ساعد كل لون فيها على ابراز جمالها وروعتها .

ويقول المولى عز وجل " ويطعمون الطعام على حبه .. " (١)

فالآية وإن كانت عامة فى جميع الأبرار ، فاطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة لهم بأى وجه كان " (٢)

تقرأ قوله تعالى : " إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا " (٣)

الأيتان تعريض بالابتعاد عن خمر الدنيا ، وحث للإنسان على الاجتهاد فى العبادات ، والمثابرة فى إتيان الطاعات واجتناب المعاصى ، كى ينال ذلك النعيم الأخروى .

وفى قوله تعالى: " يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا (٤)

---

(١) سورة الإنسان آية ٨

(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٤٤/٢٩ ، ٢٤٥

(٣) سورة الإنسان آية ٥-٦

(٤) سورة الإنسان آية ٧

نرى أن الوفاء بالنذر كناية عن أنهم يؤدوا الواجبات كلها ، لأن ما عدا الوفاء بالنذر أولى بالأداء وفى هذا عرض للشئ المعنوى فى صورة حسية تحسها ونراها .

ونتدبر قوله تعالى : " متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا (١)

الاتكاء على الأرائك كناية عن كمال التنعيم والتعظيم فأهل الجنة متمتعون جالسون على الأرائك ، فالنعيم مؤكداً لهم ، والخيرات ثابتة وموجودة من أجلهم ، فجمال الصورة الكنائية هنا يكمن فى الآثار المعنوية التى تدخل السرور على النفس وتستولى على الحس .

والمراد بالشمس حرا أشعتها ، فنفى رؤية الشمس فى ثوله : لا يرون فيها شمسنا " كناية عن نفى وجود الشمس الذى يلزمه انتفاء حر شعاعها ، وهو من الكناية التلويحية التى زادت الألفاظ جمالاً ، وأكسبت المعانى كمالاً ، وحركت النفس إلى عملها ، ودعت القلوب إلى فهمها .

---

(١) سورة الإنسان آية ١٣

الفصل الثالث

المحسنات البديعية فى سورة الإنسان

وقد جاء فى مبحثين :

المبحث الأول : المحسنات المعنوية

المبحث الثانى : المحسنات اللفظية

قيمة البديع فى الأسلوب

اللغة العربية لغة جميلة ، وجمالها ينبعث من جرسها وإيقاعها كما ينبعث من العلاقات بين الألفاظ ، وهذا يتأتى عندما تصاغ فى صورة تتميز بالجمال والكمال ، وتكون قمة الإبداع اللغوى ومما ينبى عن جمال اللغة العربية ما فيها من ألوان بديعية معنوية أو لفظية.

والبديع ليس ترفاً فى الأسلوب الأدبى ، أو حلية يمكن الاستغناء عنها ، بل هو الغاية من العلوم الأدبية كلها فهو فى الذروة وليس تابعاً لها .

ومنزلته من علوم البلاغة سامية حيث يكون كالرحيق الذى تتركز فيه الحلاوة، ويتجمع فيه السكر يقول العلوى" أعلم أن هذا الفن من التصرف فى الكلام مختص بأنواع التراكيب ولا يكون واقعاً فى المفردات، وهو خلاصة علمى المعانى والبيان ومصاص سكرها، وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة فإذن هو صفو الصفو، وخلاص الخلاص، وبيان ذلك:هو أن العلوم الأدبية بالإضافة إلى حاجتها إليه وترتيبه عليها على خمس مراتب، كل واحدة منها أحق من الأخرى،وهو الغاية التى تنتهى إليه كلها([1])

وسورة الإنسان كغيرها من سور القرآن الكريم قد زخرت بكثير من المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ، التى كان لها دور بنّاء فى إبراز المعنى وتوضيحه وتأكيده وتثبيته فى الأذهان .

([1]) الطراز للعلوى ٣/٣٤٧

المبحث الأول

المحسنات البديعية المعنوية

تقرأ قوله تعالى على لسان الأبرار " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (١)

وقوله : " إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (٢)

فى هاتين الأيتين لف ونشر معكوس ، والداعى إلى عكس النشر مراعاة حسن تنسيق النظم لينتقل الذهن من ذكر الإطعام إلى ما يقولونه للمطعمين ، وينتقل من ذكر خوف يوم الحساب إلى بشارتهم بوقاية الله إياهم من شر ذلك اليوم ، وما يلقونه من النضرة والسرور .

واللف والنشر هو : ذكر متعدد على جهة التفصيل بالنص على كل واحد ، أو على جهة الاجمال : بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ، وهذا هو اللف ، ثم ذكر ما لكل واحد من المتقدم من غير تعين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به ، وهذا هو النشر.

وأحيانا يأتى النشر على ترتيب اللف ، وأحيانا يكون النشر على غير ترتيب اللف .

وهو من المحسنات البديعية المعنوية الجميلة التى تجمع بين سهولة اللفظ ، واختراع المعانى وإيجازها ودقتها.

وفى قوله تعالى" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " (٣)

---

(١) سورة الإنسان آية ٩

(٢) سورة الإنسان آية ١٠

(٣) سورة الإنسان آية ٨

تكميل يحسن المعنى إذا كان الضمير فى حبه عائداً على الطعام ، وإن كان عائداً على الله سبحانه فهو تتميم احتياط (١)

ويقول تعالى " لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (٢)

والزمهرير البرد الشديد ، وقيل القمر فى لغة طى .

قال الشاعر: وليلة ظلامها قد اعتكرت قطعها والزمهرير ما زهر (٣)

والراجح : الأول فقد أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ،قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اشتكت النار إلى ربها فقالت:ربى أكل بعضى بعضا ، فجعل لها نفسين ، نفسا فى الصيف ونفسا فى الشتاء،فأشد ما تجدون فى الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير (٤)

وقال ابن مسعود – رضوان الله عليه هو " أى الزمهرير : لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى أن أهل النار إذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذبهم بالنار ألف سنة ، أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوماً واحداً (٥)

والآية على هذا من الاحتباك (٦) والإيجاز الذى يصل إلى المعنى من أقرب طريق حيث دل نفى الشمس أولاً على نفى القمر ، ودل نفى الزمهرير

---

(١) بديع القرآن لابن أبى الاصبع المصرى ص ٤٨

(٢) سورة الإنسان آية ١٣

(٣) الكشاف ٦٧٠/٤ ، ٦٧١

(٤) البخارى ٤٦/٤ كتاب بدء الخلق – باب صفة النار وأنها مخلوقة – كتاب الشعب

(٥) القرطبى ١٣٦/١٩/١٠ ، وانظر كلمات قرآنية أو مفردات القرآن ليحى عبد الله المعلمى ص ١٧١ – دار المعلمى بالرياض للنشر ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م.

(٦) الاحتباك قد ذكره علماء البديع وسماه الزركشى الحذف المقابلى وهو : أن يحذف من كل ما أثبت نظيره ، ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذى معناه : الشد والأحكام ، وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ، والحذف لا يكاد يظهر إلا بدقة وتأمل لقوة الأسر والسبك وشدة التداخل ، ، الاتقان ٢٠٥/٣ ، وأكثر هذا الأسلوب فى التقابل والتضاد ، والمهم أن هذا التوازن العجيب مع أن المحذوف نصف الأسلوب إلا أنه موزع بدقة مع الأدلة المعنية.

الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس ، فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين لأنها منيرة بذاتها وأهلها غير محتاجين إلى معرفة الزمان إذ لا تكليف فيها ، وأنها ظليلة معتدلة دائماً .

" إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (١)

هذه الآية استطراد فى تثبيت قلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين معه فى مواجهة هؤلاء الذين أوتوا من هذه العاجلة ما يحبون ، إلى جانب أنه تهديد مكفوف لأصحاب العاجلة باليوم الثقيل (٢)

وبين قوله : " يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (٣)

أسلوب تضاد خفى ، لأن رحمة الله معناها عدم العذاب ، والرضا عن هؤلاء ، وهذا يشبه الضد بالنسبة لأعداد العذاب للظالمين .

واسلوب التضاد الخفى هنا أضفى على المعنى جمالا وزاده روعة وبهاء بتوضيحه المعنى فى ذهن المتلقى والسامع.

وتمتاز هذه السورة كغيرها من سائر سور القرآن - أن بين مطلعها وختامها التئام رائع وتوافق بديع ، وانسجام خلاب.

وهذا ما يسمونه فى البلاغة العربية ، براعة الاستهلال ، أو حسن الابتداء ، وحسن الانتهاء .

فمطلعها يتحدث عن خلق الإنسان من نطفة أمشاج وفى هذا دلالة على أن الذى خلق الإنسان من تلك النطفة المختلطة ، قادر على إعادته ، بل إعادته عليه أهون وهذا ما كان ينكره أهل مكة أيما إنكار.

وختامها فيه نفس الحديث عن خلق الإنسانية التى أرشدها ربها إلى الطريق القويم ، غير أن بعضا منها قد انحرف عن الجادة ، واتبع غير سبيل

---

(١) سورة الإنسان آية ٢٧

(٢) فى ظلال القرآن ٣٧٨٦/٢٩

(٣) سورة الإنسان آية ٣١

المؤمنين كأهل مكة الذين قال الله فيهم : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ (١)

فكأن الله عز وجل يقول : نحن الذين ابتدأنا خلقكم يا أهل مكة وأمثالكم من تراب ثم من نطفة ..... الخ الأطور التى مررتم بها ، فهل نعجز عن الإتيان بأمثالكم لهم من القوة وإحكام الربط مثل مالكم ، أو إعادتكم يوم القيامة بنفس الصفات التى كنتم عليها فى الدنيا.

وجميع خواتيم السور الفرقانية فى غاية الحسن ونهاية الكمال وهذا من الإعجاز البلاغى فى القرآن الكريم.

---

(١) سورة الإنسان آية ٢٨

المبحث الثانى
المحسنات اللفظية

أ- الجناس :

ومن المحسنات البديعية اللفظية التى جاءت فى السورة الكريمة الجناس فى قوله تعالى " وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١)

فبين " ذللت و تذليلا " جناس اشتقاق فالكلمتان يجمعهما أصل لغوى واحد واشتقاق تذليلا من ذللت ، يجعل إحداهما مؤكدة لمعنى الأخرى للدلالة على كمال النعيم والتكريم.

وبلاغة الجناس من ناحيتين :

الأولى : صوتية ، وهى توفير نوع خاص من الانسجام فى النغم والتقارب فى الأصوات.

والثانية : معنوية ، وهى سرعة الاستدعاء اللفظى للمعنى المراد التعبير عنه (٢)

أو كما قال الإمام عبد الظاهر الجرجانى " حسن الافادة مع أن الصورة صورة التكرير والاعادة (٣)

" وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (٤)

---

(١) سورة الإنسان آية ١٤

(٢) أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى ٧٤٤

(٣) أسرار البلاغة للامام عبد القاهر الجرجانى ص٢١

(٤) سورة الإنسان آية ١٥ ، ١٦

وقد اشتمل النظم القرآنى السابق على أكثر من محسن بديعى أقتضى السياق التعبير به ، فكان له وقع جمل حسن على السمع ، ورنين جميل فى الأذن.

من ذلك تشابه الأطراف فى قوله : " يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديرا ".

فقد أعاد فاصلة الآية الأولى فى أول الآية الثانية فكانت الأطراف متشابهة ، وأدت إلى انسجام صوتى جميل وحسن موقع فى السمع والطلع ، وبلاغة عالية تدل على بلاغة القرآن الكريم المعجزة التى لا يصل إليها بلاغة أى كلام آخر ، مهما بلغت درجة فصاحته.

كذلك الجناس فى قوله " قدروها تقديرا " فبين الكلمتين جناس على رأى قدامه الذى عرف الجناس بقوله : هو " اشتراك المعانى فى ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق " (١)

وهو ملحق بالجناس عند باقى العلماء ، وهو من المحسنات البديعية اللفظية ، التى جاءت لتقوم بنصيبها من أداء المعنى أولا ، بالإضافة إلى ما فيه من جمال لفظى . ينسجم فى التركيب فيعطى جمالا موسيقيا ورنينا صوتيا جميلا ، تطرب له الآذان ، وتلتفت إليه الأذهان.

ب- الفاصلة وبلاغتها فى السور الكريمة :

إن قارئ هذه السورة يشعر بالمناسبة التامة والانسجام الواضح بين موضوعها ونغمتها ، فقد جاءت مقدمتها قوية الجرس ، جميلة الفواصل فالراء بتنوينها الجميل تعطى النفس إعانة فى النطق ، وراحة فى الأداء ،

---

(١) نقد الشعر لقدمه بن جعفر ص ٦١ ط الجوائب ١٣٠٢ هـ ، تحرير التحبير لابن أبى الاصبع المصرى ص ١٠٣ تقديم د/ حفنى محمد شرف - يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة.

حيث النغمة الهادئة الطويلة بعض الطول مع موضوعها الفكرى الذى سيقت له وهو إثبات البعث ، وإثبات قدرة الله .

فلكل فقرة فى كل آية نغمة موزونة ، يشعر تاليها بانسجامها وسلاستها وتنتهى الفقرة فى كل آية بهذه الفاصلة الحلوة التى ينتهى الكلام عندها ويستقر الفكر فيها فى نتيجة ، وهى المنتهية بهذه الألفاظ ، مذكورا - بصيرا ، كفورا - سعيرا - تفجيرا - مستطيرا - أسيراً - شكورا

وقد تنوعت فواصل سورة الإنسان إلا أنها لم تخرج عن الراء - واللام - والميم ، وهى حروف متقاربة فى المخرج، وهذا من بلاغة الفواصل وحسنها لما فيها من البلاغة وحسن العبارة.

والتغاير فى مبنى الفواصل من خواص نظم القرآن ، وتأتى هذه الظاهرة تنشيطا للسامع والقارئ ، وللملاءمة والاتساق ومراعاة المعنى ، وليس لمجرد الحلية اللفظية استمع إلى قوله تعالى : " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ، إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ".

ويستمر هذا السياق على حرف واحد هو الراء (١)

المنونة إلى نهاية قوله تعالى : " لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا "

ويتغير مبنى الفاصلة ، فيأتى على نظام حرف آخر وهو " اللام " المنونة أيضا فى قوله تعالى " وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (٢)

---

(١) سورة الإنسان آية ١٣

(٢) سورة الإنسان آية ١٤

وعندما نجد نقف على نهاية كل فقرة من هذه الفقرات المشتركة فى حرف الفاصلة ، تجد أن الفقرة وحده مستقلة من حيث المعنى فحرف الفاصلة قد روعى فيه المعنى والغرض.

فإذا ما استقريت سورة الإنسان نجد أن الآيات قد كمل معناها بالفاصلة ، وأن الفاصلة قامت بأداء نصيبها فيه .

" والوزن والفاصلة فى القرآن الكريم يكسب النظم قوة فى التعبير لأن انسياب النغم الموسيقى فى الآيات بهما وتدفقه مع المعانى يعطى قوة ولينا ، متمم للآثر القوى ، الذى يحدثه القرآن فى نفوس السامعين ، عن طريق الحس السمعى (١)

والتناسق بين الفواصل ظاهر فى سورة الإنسان ، ففى بعض آياتها جمال هادئ رقيق ، ندى السمات والايقاعات ، وذلك لدى الحديث عن الأبرار وما يتصفون به سمات ، وما استحقوه من التكريم والإنعام " إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً .

إلى آخر قوله: إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢)

فى مخاطبة رسوله الكريم نجد أن فاصلة السورة تغيرت طبعا لطبيعة الموضوع الذى سيقت له : وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ، إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٣)

---

(١) أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى ٢٤٣ د/ محمد زغلول سلام

(٢) سورة الإنسان من آية ٥ إلى آية ٢١

(٣) سورة الإنسان من آية ٢٥ إلى آية ٢٩

وإذا ما نظرنا فى الآيات السابقة ، نجد أن الفاصلة مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى موضعها ، غير نافرة ولا قلقة بتعلق معناها بمعنى الآية تعليقا تاما ، بحيث لو طرحت لأختل المعنى ، وأضطرب الفهم فهى تؤدى فى مكانها جزءا من معنى الآية ينقص ويختل بنقصانها.

فالآيات قد كمل معناها بالفاصلة ، والفاصلة قامت بأداء نصيبها منه.

ويتغير مبنى الفاصلة فيأتى على نظام حرف آخر هو " الميم " المنونة فى قوله تعالى " وَما تشاءونَ إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ، يُدخِلُ مَنْ يشاءُ فِي رَحْمَتِه وَالظالِمين أعد لهم عذابا أليما (١)

والسورة بحروفها الثلاث " الراء واللام والميم " جاءت منونة وحكمة التنوين وجود التمكين من التطريب بذلك كما قال سيويه " إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء فى القرآن على أسهل موقف ، وأعذب مقطع (٢)

فالفواصل حروف متشابكة فى المقاطع ، توجب حسن إفهام المعانى ، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق إلى افهام المعانى التى يحتاج إليها فى احسن صورة يدل عليها.

وسورة الإنسان ينطبق عليها هذا الكلام لأن فواصلها لم تتعد الراء واللام والميم ، وهى من الحروف المجهورة والحرف المجهور هو : حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ، وصنع النفس أن يجرى معه ، حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت (٣)

---

(١) سورة الإنسان آية ٣٠ ، ٣١

(٢) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٠٥/٢

(٣) انظر صناعة الأعراب لابن جنى تحقيق إحسن هنداوى ٦٠/١ ، ٦١ - الطبعة الأولى - دار العلم دمشق ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م - الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص٢١ - الطبعة السادسة ١٩٨٤ مكتبة الانجلو المصرية .

الحروف الشديدة التي تتركب بسكون الحلق ، فإن الحلق صوت من أصوات الخيشوم ، والخيشوم مركب القار الأعلى ، وإليه يسمو هذا الصوت ، وتخرج هذه الحروف من طرف اللسان وهى من أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها ([1])

كما قيل " إن التنوين والنون يصاحبان الغنة ، وهى تعمر شجر تعشقه الأذن ، وتلذه النفس ، ولذلك يكثر دخوله فى التركيب مفردات اللغة تطريبا وتشجيه ، فنرى منه الكثير المكرر فى تضاعيف الكلام وقوافيه ، وقد توفر للقرآن منه أكبر ما يرى فى قوله قائل ([2])

ومن هذا الاستعراض السريع تبدو الألوان المتعددة فى آيات السورة وإيقاعاتها فى تعبيرها وفى تنغيمها كما يبدو تعدد نظام الفواصل ، وتغير حروف القوافى بحسب تنوع المعانى والمشاهد ، فالسورة من هذا الجانب نموذج واف لهذا الأفق من التناسق فى عرض المعانى ، وجمال الفواصل فيما تعبر عنه من معانى ، فوق ما فيها عموما من جمال ملحوظ.

وما هذه الفواصل التى تنتهى بها آيات القرآن إلاَّصُور تامة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقى.

وتراها أكثر ما تنتهى "بالتنوين "سواء أكان قبل هذا التنوين " راء " وهو أكثر آيات السورة وروداً أولاما أو ميما " كما فى بعض آياتها ، وهذه هى الحروف الطبيعية فى الموسيقى نفسها.

([1]) جمهرة اللغة لابن دريد أبى بكر محمد بن الحسن الأزدى ٦/١ ، ٧ - دار صادر - بيروت

([2]) التكرير بين المثير والتأثير د/ عز الدين على السيد ص ١٥ - عالم الكتب - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

والتنوين فى السورة لإطلاق الصوت ، جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر ، وفائدتها الدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف (١)

وقد كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن مع التطريب بذلك كما قال سيبويه : إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا وجاء القرآن على أسهل موقف وأعظم موقع (٢)

يقول الدكتور أبو موسى " ولست أرفض أن يراعى القرآن حق الفاصلة ، لأن هذا ليس أمراً لفظيا هينا ، كما فهمه كثير من البلاغيين .

وقليل منهم تنبه إلى قيمة الأثر الصوتى ، أو الأثر الموسيقى فى التأثير والإيحاء ، وظل أكثرهم يفهم أن شئون اللفظ لا تعدوا أن تكون محسنات سطحية لا تتصل بجوهر البلاغة .

وليس من الخطأ فى الدين ولا فى البلاغة ، أن تقول أن القرآن يهتم بالناحية اللفظية لأنها جزء من أسلوبه ، ولأنها من دواعى التأثير وتلك وظيفة القرآن الكبرى ، فالغرض منه أولا هو قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير ، فمن الحتم أن يأخذ كل سبيل إلى هذه الغاية فلا يهمل هذا الجانب الهام من بلاغته (٣)

وقد أشاد الإمام عبد القاهر بالجانب اللفظى فى القرآن الكريم وذكر أن له دوراً فى الإعجاز فقال :

" وأعلم أنا لا تأبى أن تكون مذاقه الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز (٤)

---

(١) الكشاف ٤/٤٤٤

(٢) معترك الاقران ١/٥٣ - دار الفكر العربى

(٣) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ٣٦٩

(٤) دلائل الإعجاز ص ٢٥٢

الخاتمـــة

وبعد هذا التطواف والتجوال ونحن ننتقل من فنن إلى فنن مـن أفنـان تلك الدوحة الباسقة فـى ريـاض بلاغـة سـورة الإنسـان يجمـل بنـا أن تحظـى بعصارة لهذا الرحيق الذى نعمنا به فى مسيرتنا .

فنرى أن هذه السورة علـى الرغـم مـن وجازتهـا إلا أنهـا حـوت كـل الأساليب البلاغية تقريبا ، مـن بلاغـة تراكيـب ، وصـور بيانيـة ، ومحسـنات بديعية .

وهذا إن دل فإنما يدل على بلاغة القرآن الكريم الفياضة وسمو بيانه الموجز المعجز.

فالدارس لكتاب الله – عز وجل – بفهم ونية صادقة يجد العديد مـن معجزات هذا الكتـاب ، يجدهـا فـى بلاغتـه المعجـزة ولغتـه الراقيـة واسـلوبه الموجز البليغ ، وطريقة جمعه وترتيبه المنسق البديع كما يجدها فى علومـه الفياضة ومعارفه الكثيرة كما يجدها أيضا فى وصفه الدقيق لتاريخ السـابقين ، والحديث عن آثار الماجنين.

يقـول فضيلـة الدكتـور محمـد سـيد طنطـاوى " إن هــذا الكتــاب سامى المنزلة أينما اتجهت إليه ، فإذا نظـرت إليـه مـن ناحيـة تراكيبـه فهو معجز للبلغاء ، وإن نظرت إليه من ناحية معانيه فهو فوق مـدارك الحكمـاء ، وإن نظـرت إليـه مـن ناحيـة قصصـه وتاريخـه فهـو أصـدق محدث عن الماجنين ، وأدق محدد لتاريخ السابقين ([1])

هذا ولما كان موضوع البحث " من بلاغة القرآن فى سورة الإنسان " فقد استخرجت الصورة البلاغيـة ، وبينـت جمالهـا فـى الأسـلوب القرآنـى ووضحت سرها البلاغى كى تظهر روعة الإعجاز القرآنى.

([1]) التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوى ص ٥٣

ولم اقتصر على الصورة البلاغية المتداولة فى كتب البلاغيين بل تطرقت إلى كتب الإعجاز القرآنى التى تبحث فى المفردة وحسن اختيارها فى مكانها ، ودقة موقعها فى النص ،ووقعها فى النفس .

وقد امتازت السورة بالأسلوب البلاغى المعجز الرصين ، فكان لكل مقام مقال ، فلكى يعطى هذا المقام حقه رأينا متى أكد الخبر ، ومتى ألقاه المولى عز وجل خاليا من التوليد ومتى حسن التعريف والتنكير ، والمقام الذى اقتضاه التقديم والتأخير، ولا ننسى روعة الدقة فى أسلوب القصر، والفصل والوصل، والإيجار والاطناب وغير ذلك .

فعلم المعانى الذى يعتمد على معرفة علم النحو واللغة معرفة جيدة كان له دور بناء فى إبراز جانب الإعجاز البلاغى فى السورة فالنظم هو أساس الإعجاز وعموده العظيم.

وكانت الصورة البيانية فى السورة الكريمة تعتمد على الصورة الحسية فى التعبير عن المعانى المجردة ، مما يقرب تلك المعانى فى الأذهان ، وهذا من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم.

وكان للبديع دور فى إبراز الجانب الجمالى فى السورة ، فقد جاء منه اللفظى والمعنوى ، فمن المعنوى الطباق والمقابلة والاحتباك وغير ذلك ومن اللفظى الجناس والفواصل.

كما رأينا من مظاهر الإعجاز البلاغى فى السورة الكلمات المعربة وبلاغتها التى كشفت اللثام عن كثير من الأسرار البلاغية للنظم القرآنى وبينت لنا روعة الإعجاز الذى سيبقى أمد الدهر.

وأرجو العفو عما صدر منى من خطأ أو نسيان إن كانت هناك كلمة سبق بها القلم أو قيلت عفو الخاطر فى غير موضعها فالكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

١- فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصحيفة
١)الفاتحة	٣	٢٢
٢)البقرة	١٠٤	١٦
	٢١٨	٢٢
	٢٦١	٢٢
	٢٦٨	٣٢
	٢٧٦	٣٩
٣)آل عمران	١٠٦	٨٣
٤)النساء	٩٥	٣٢
	١٦٨ - ١٦٩	٢٣
٥)المائدة	٩١	٧٧
٦)الانعام	١٢٠	٣٩
٧)الأعراف	٣٥	٨٥
	٤٤	٣٩
	١٢٧	٣٩
٨)يونس	٤	٣٢
٩)هود	١	١٠١
١٠)الرعد	٣١	٢٦
	٣٧	٦٤
١١)إبراهيم	١٦	٤٠ ، ٤١
١٢)الحجر	٢٢	٥
١٣)النحل	٥٠	٢٦

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصحيفة
١٤)الكهف	١١	٨٠
	٧٩	٤٠ ، ٤١
	١٠٦	٢٩
	٢ ، ٣	٣٦
١٥)مريم	٤٠	١٠٣
١٦)طه	١٨	٣٣
	٤	٤
١٧)الأنبياء	١٠٣	٤٨
١٨)المؤمنون	١٤	١٩
١٩)الشعراء	١٩٢ ، ١٩٥	٦٤
٢٠)النحل	٢٢	٦٤
	١٠٣	٦٤
٢١)القصص	٢٩	٣٦
	٨	١١٢
٢٢)العنكبوت	٢٧	٢٩
٢٣)الأحزاب	٧٢	٧٩
٢٤)يـــس	١٢	١٠٣
	٧٨	٣٩
٢٥)فصلت	٤٤	٦٢ ، ٦٤
٢٦)الشورى	٧	٦٤
٢٧)الزخرف	٨٧	٧٧
	٧١	٩٥

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصحيفة
٢٨)الجاثية	٢٤	١٨ ، ٤٠
٢٩)الحجرات	١٤	١٦
٣٠) ق	٣	٤٠
٣١)القمر	٤٩ ، ٥٠	١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٦
٣٢)الرحمن	٢٦ ، ٢٧	٣٦
٣٣)الواقعة	٦١	٢٠
٣٤)القيامة	٣ ، ٤	٧
	٦ ، ٢٢ ، ٢٥	٨
	٣٧ - ٣٩	٨ ، ١٠
٣٥)سورة الإنسان	٢٤	٦
	١ ، ٢	٧ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ١٣١ ، ٧٨
	٥ - ٢٢	٨ ، ٩ ، ١٤٣ ، ٧٢
	٤	٨ ، ٩ ، ٢٢ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٩٠ ، ٧٥ ، ٨١
	٢٣ - ٢٤	٨ ، ٣٠ ، ٣٨
	٥ - ٦	٧٥،٢٥،٤٦،٨٤،٨٦،١٢٧،١٣٠،١٣٢، ٨٤ ، ٨٦
	٢٨	١٠
	١	١٨ ، ٥٧
	٢	١٨،٣٠،٤٨،٥٧،٨٦
	٣	٢١،٢٢،٣٠،٤٤،٥٢،٥٧،٧٩،١٢٥،٨١
	٧	٢٦،٤٧،٨٧،١٤٤،٧٢،٨٧
	١٠	٢٦،٣٠،٤٨،١٣٦

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصحيفة
تابع سورة الانسان	٨	١٣٦،١٣٢،٨٩،٢٧
	٩	١٣٦،١٢٧،١٢١،٩١،٢٨
	١٢	٩١،٢٩
	١٣	١٥٤،١٣٧،١٣٣،٣٢
	٢١،٢٤،٢٥،٢٩	٥٤
	١١	٧٢،٩١،١٦
	١٤	١٤٢،١٤٠،٩٤،٧٦،٤٩،٣٤
	١٥ – ١٦	١٤٠،١١٩،٩٤،٧٦
	١٧ – ١٨	٩٦
	١٩	١٢١،٩٨،٣٧،٣٥
	٢٠	١٠٠ ، ١٢٢
	٢١	٥٠،٤٩
	٢٢	١٠٠،٧٦،٣٥
	٢٣ – ٢٦	١٠٣
	٢٥ : ٢٦	١٤٣،١٠٩،٣٠
	٢٧ : ٢٨	١٤٣،١٣٩،١٣٨،١٢٨،١٢٨،١٢٢،٥٦،٣٩
	٢٩	١٤٣،١٢٨،١١٤،١١٣،٥٦،٣٠
	٣٠	١٤٤،١١٥،١١٣
	٣١	١٤٤،١٣٨،١١٦،١١٣،٥٦،٥٢
٣٦)المرسلات	١ : ٧	٩
	٢٠ : ٢٢	١٠ ، ٩

٢- فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	رقم الصحيفة
١	أخرج الحاكم فى المستدرك وغيره عن أبى ذر - رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الإنسان حتى ختمها ثم قال : أنى أرى مالا ترون ... إلى آخر الحديث.	١٠
٢	أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر سورة السجدة وسورة الإنسان.	١١
٣	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اشتكت النار إلى ربها فقالت ربى أكل بعضى بعضا .. إلى آخر الحديث.	١٤٩
٤	عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه قال : ادنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما	

٣- فهرس الآبيات الشعرية

م	الآبيات الشعرية	رقم الصحيفة
	قول الشاعر : وليلة ظلامها قد اعتكر ودعها والزمهرير ما زهر	١٤٩
	قول الشاعر : كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لمته لمته وحدى	١٢٢
	قول أبو نواس : رق الزجاج ورقت الخمر .·. وتشاكلا فتشابه الأمر فكأنما خمر ولا قدح .·. وكأنما قدح ولا خمر	١٢٢

مراجـــع البحـــث ومصـــادره

- الاتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبـة العصريـة - صيدا - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى - د/ محمد زغلول سلام
- الأزهية فى علم الحروف تأليف على بن محمد النحوى الهـروى ، تحقيق عبد المعين الملوحى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- أساس البلاغة تأليف الإمام الكبير جار الله أبا القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٣٨ دار التنوير العربى - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
- أساليب الاستفهام فى القرآن تأليف عبد العليم السيد فوده - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .
- أسرار ترتيب القرآن للسيوطى - تحقيق عبد القادر أحمد عطا - الطبعة الأولى - دار الاعتصام.
- أسرار التكـرار فـى القرآن لتـاج القراء محمود بن حمزه نصر الكرمـانى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا الطبعة الأولى - دار الاعتصام
- الأشباه والنظائر فى الألفاظ القرآنيـة التـى ترادفـت مبانيهـا ، وتنوعت معانيها - تأليف عبد الملك بن محمد الثعالبى ت ٤٢٩ - تحقيق محمد المصرى عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - مكتبة المتنبى .
- الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخى ت ١٥٠هـ تحقيق ودراسة د/ عبد الله محمود شحاته - الهيئـة

العامة المصرية للكتاب - المكتبة المصرية ١٦١ - القاهرة - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- الإيضاح للخطيب القرونى - دار الجيل - بيروت - لبنان
- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د/ محمد أبو موسى
- الأصوات اللغوية للدكتور / إبراهيم أنيس - الطبعة السادسة - ١٩٨٤ م - مكتبة الأنجلو المصرية
- إعجاز البيان فى القرآن - الاستفهام - لمحمد شكرى أحمد الفيومى - دار القلم - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م
- إعجاز القرآن تأليف أبى بكر الباقلانى - عالم الكتب - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش - اليمامة - دار ابن كثير - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى - ٦٥٤ - ٧٥٤ هـ وبهامشية تفسير النهر المارد من أبى حيان نفسه - والدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفى تلميذ أبى حيان ٦٨٢ - ٧٤٩ - الطبعة الثانية - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - دار الفكر العربى للطباعة والنشر.
- - بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصرى ٥٨٥ - ٦٥٤ هـ تحقيق د/ حفنى محمد شرف الطبعة الثانية - دار نهضة مصر - البرهان فى علوم القرآن للزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث .
- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية د/ محمد حسن أبو موسى دار الفكر العربى .
- البيان القرآنى د/ محمد رجب البيومى - مجمع البحوث الإسلامية - ربيع الثانى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

- تاج العروس من شرح القاموس للإمام اللغوى محب الدين أبى الفيض السيد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى الحنفى . الطبعة الأولى - المطبعة الخيرية المنشأه بجمالية مصر - المحمية - ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ الإسلام السياسى والدينى د/ حسن إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة .
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للأستاذ / الطاهر أحمد الزاوى - مفتى الجمهورية الليبية - الطبعة الثانية - عيسى البابى الحلبى .
- تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر ، وبيان إعجاز القرآن لابن أبى الاصبع المصرى - تقديم وتحقيق د/ حفنى محمد شرف
- تفسير أبو السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضى القضاه الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادى ت ٩٥١ هـ دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .
- تفسير التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر من عاشور - الدار التونسية ١٩٨٤ م.
- تفسير جزء تبارك للأستاذ المغربى .
- تفسير روح البيان تأليف الإمام العالم إسماعيل حقى البروسوى ت ١١٣٧ هـ - دار سعادت - المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ١٣٣٠ هـ.
- التفسير القرآنى للقرآن لعبد الكريم الخطيب ، طبع ونشر دار الفكر العربى مطبعة السنة المحمدية .

عبد العزيز عتيم محمد احمد عاشور – محمد إبراهيم البنا – دار الشعب.

- التفسير القيم لابن القيم – تحقيق محمد حامد الفقى – مطبعة السنة المحمدية.
- التفسير الكبير للإمام فخر الدين بن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الرى – الطبعة الثانية – ٥٤٤ – ٦٠٥ هـ – دار إحياء التراث العربى – بيروت.
- تفسير النسفى للإمام النسفى – ط الحلبى
- التكرير بين المثير والتأثير د/ عز الدين على السيد – عالم الكتب – الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م
- تلخيص البيان فى مجازات القرآن تصنيف الشريف الرضى – حققه وقدم له ووضع فهارسه – محمد عبد الغنى حسن – دار إحياء الكتب العربية.
- تهذيب اللغة للأزهرى – تحقيق عبد السلام هارون ، مراجعة محمد على النجار الدار المصرية
- ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى حققها وعلق عليها محمد خلف الله – د/ محمد زغلول سلام – الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨م – دار المعارف بمصر.
- الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبى عبد الله محمود بن محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – دار إحياء التراث العربى – بيروت لبنان ١٩٦٦ م
- الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادى د/ مصطفى الجوينى – منشأة المعارف بالاسكندرية.

- جمهرة اللغة لأبى دريد أبى بكر بن الحسين الأزرى البصرى ت ٣٢١ هـ - دار صادر.
- الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادى د/ مصطفى الصاوى الجوينى - منشأة المعارف بالاسكندرية
- جواهر البيان فى تناسب سور القرآن لأبى الفضل عبد الله محمد الصديق الحسنى مكتبة القاهرة .
- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع تأليف السيد أحمد الهاشى - الطبعة السادسة.
- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية - الطبعة الثانية - نهضة مصر.
- حاشية الشهاب ت ١٠٦٩ المسماه عناية القاضى وكفاية الراضى على أحمد بن محمد شهاب الدين ت ١٠٦٩ على تفسير البيضاوى - دار صادر - بيروت
- حاشية الشيخ مخلوف المنياوى على شرح الشيخ أحمد الدمنهورى لمتن الإمام الخضرى
- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق على محمد النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت - لبنان
- دلائل الإعجاز تأليف الإمام عبد القاهر الجرجانى - تحقيق السيد محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨١ م.
- روح المعانى للألوسى .
- شروح التلخيص للخطيب وآخرين - دار السرور - بيروت
- صحيح البخارى - الطبعة الأونى - المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٠ هـ

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى تحقيق إبراهيم عطوه - مطبعة الحلبى - الطبعة الأولى - ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م
- الفاصلة فى القرآن محمد الحسناوى - بيروت - عمان - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

(فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير تأليف محمد بن على الشوكانى - ١٢٥٠ هـ - الطبعة الثالثة - ١٣٨٣ - ١٩٢٤ م - مصطفى البابى الحلبى) .

- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين تأليف سليمان العجيلى الشهير بالجمل ١٢٠٤هـ - مكتبة زهران الحلبى
- فتح البيان فى مقاصد القرآن - تفسير الجزأين عم وتبارك للعلامة حسن خان - مطبعة العاصمة.
- فى ظلال القرآن لسيد قطب - الطبعة الثالثة عشر - ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ - دار الشروق - بيروت .
- القرآن كتاب الله الخالد للأستاذ حسين فؤاد طلبة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ٢٢
- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى - تحقيق د/ أحمد محمد قاسم - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى.

(القاموس المحيط للفيروزيادى)

- الكشاف للزمخشرى - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير قدمه وعلق عليه د/ أحمد الحوفى د/ بدوى طبانة . دار نهضة مصر.

- لسان العرب لابن منظور – ط دار المعارف
- مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ت السيد هاشم الرسولى المحلاتى والسيد فضل الله اليزيد الطباطبأنى
- كلمات قرآنية أو مفردات القرآن ليحى عبد الله المعلمى – دار المعلمى بالرياض للنشر ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
- معانى القرآن للفراء – الهيئة المصرية العامة للكتاب
- معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى – كتاب اليوم
- المخصص لابن سيدة ت ٤٥٨ – المكتب البخارى للطباعة والنشر – بيروت
- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى – على محمد البجاوى – محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى
- معترك الاقران فى إعجاز القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى تحقيق على محمد البيجاوى – ملتزم الطبع والنشر – دار الفكر العربى
- مفتاح العلوم للإمام أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن على السكاكى ت ٦٢٦ هـ تعليق وتحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م
- المفردات فى غريب القرآن تأليف أبا القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ٥٠٢ هـ تحقيق محمد سيد كيلانى – مطبعة الحلبى – ١٣٨١هـ ١٩٦١م الطبعة الأولى .

- مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون - الطبعة الأولى - ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م - مطبعة الحلبى
- من الإعجاز البلاغى للقرآن د/ صباح عبيد دراز - دار التوفيقية للطباعة بالأزهر
- مناهل العرفان لمحمد عبد العظيم الزرقانى
- الموسوعة القرآنية الميسرة - تصنيف إبراهيم الابيارى - اشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز - الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
- نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر للإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، ت ٥٩٧ - ١٢٠٠ - اعتنت بتصحيحه والتعليق عليه السيدة / مهرة النساء إيم لنيل شهادة الدكتوراه من الجامعة العثمانية ، تحت مراقبة أ د / محمد عبد المجيد خان - طبع بإعانة وزارة الحكومة الهندية - الطبعة الأولى - ١٣٩٤ هـ ١٩٨٤م - بيروت
- النكت فى إعجاز القرآن للرمانى - ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - دار المعارف

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة :	٢
التمهيد :	٦
الباب الأول :	
منهج القرآن الكريم فى استعمال ألفاظه من خلال سورة الإنسان	١٣
الفصل الأول :	
استعمال اللفظ الدقيق فى التعبير عن المعنى المراد	١٤
المبحث الأول :-	
تحرى الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة فى أداء المعنى	١٥
المبحث الثانى :	
استعمال الكلمة لبنائها ووزنها وجرسها الصوتى	٤٢
المبحث الثالث : الرقة والجزالة ومواطنهما فى السورة	٥٣
الفصل الثانى : الكلمات الأعجمية وبلاغتها فى السورة الكريمة	٦١
الفصل الثالث : رعاية التسلسل المعنوى فيما بين الآيات المتعاقبة فى السورة الكريمة	٧٠
الباب الثانى : الأساليب البلاغية فى السورة الكريمة	٧٤
الفصل الأول : بلاغة التراكيب	٧٥
الفصل الثانى : التصوير البيانى فى السورة الكريمة	١١٨
المبحث الأول : التشبيه	١١٩
المبحث الثانى : المجاز اللغوى	١٢٤
أ - الاستعارة	١٢٤
ب- المجاز المرسل	١٣٠
المبحث الثالث : الكناية	١٣١

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث : المحسنات البديعية	٣٤
المبحث الأول : المحسنات البديعية المعنوية	١٣٦
المبحث الثانى : المحسنات اللفظية	١٤٠
أ - الجناس	١٤٠
ب- الفاصلة وبلاغتها فى السورة الكريمة	١٤١
الخاتمة :	١٤٧
• فهرس الآيات القرآنية	١٤٩
• فهرس الأحاديث النبوية	١٥٣
• فهرس الأبيات الشعرية	١٥٤
• فهرس مصادر البحث ومراجعه	٥٥
• فهرس الموضوعات	١٦٣

رقم الإيداع : ١١٠٥٤ / ٩٧
الترقيم الدولى : 5 - 94368 / 977